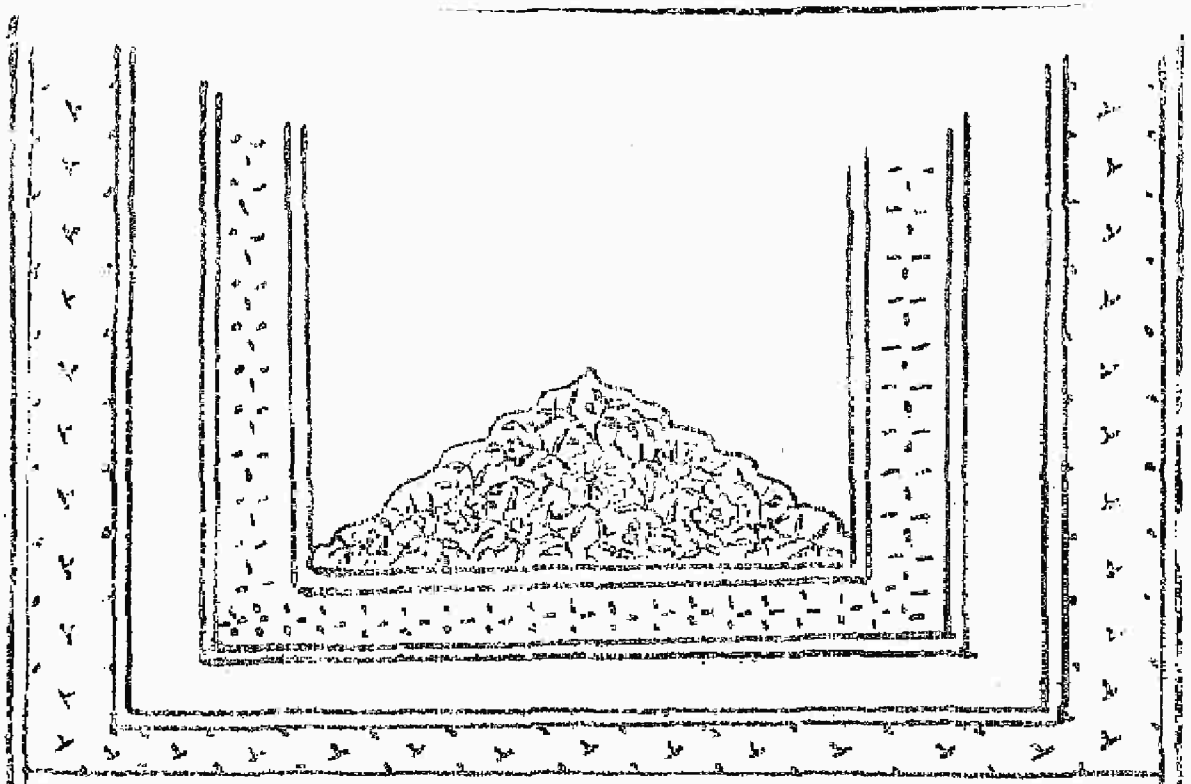

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المنان الرحيم الرحمن احمده واشكره على ما اولانا من الاحسان واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الخالق الديان واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى العدنان صلى الله عليه وعلى اله واصحابه في كل وقت واوان وبعد فقد جعل الله تعالى سير الاولين عبرة للآخرين وقد روى الدينارى والدويدارى وناصر الجيش وكاتم السر والصاحب رواة سيرة الملك الظاهر فاردت ان اشرح احسن ما فيها من الدواوين فوجدت احسن ما فيها من الاتقان خدمة الاسطاعتار لما فيها من النوادر الغريبه والهزليات العجيبه والكرامات الظاهرة والاحوال العجيبات فاقول وبالله المستعان انه لما ان جاء الامير بيبرس من الشام الى مصر وكان قد قتل بها رجل سايس يقال له الهرند واقبل الى مصر واقام ببيت زوج خالته الوزير نجم الدين البندقدارى وجرا له مشكلات مع السياس واجتمع بالوزير الامراء شاهين الافرم فامره الوزير ان ياخذ له رجل سايس حتى يكون مجواده مسايس فلما امره الوزير بذلك سار

الى

الى بيت نجم الدين وصاح على احد السياس وكان يقال له عقيرب
فلما حضر بين يديه قال له اين سرق السياس فقال له عقيرب
انت تريد سايس خشب او فخار فقال له الامير ايش هذا الكلام
الفشار يا مجنون مرادى سايس من بنى آدم فقال له الذى يكون
من بنى آدم لا يباع ومايباع فى بلادنا الا العبيد والعبد لا ينفع
سايس ولا له تذكار ولا مقال ولا سيما اذا كان المخدوم فارس
خيال ويعرف الملاعب بالجريد والحديد فما ينفع عنده العبيد
وان الذى يكون مثلك لا ينفعه الا فارس شديد وسايس
صنديد يكون صبور جليد فقال بيبرس انا جيت من الشام
ولا اعرف احدا من مصر على التمام فقال له عقيرب اعلم ياجندى
ان الدنيا كلها عليه مغطيه الا مصر فانها ظاهره ليست مخفيه
وانا ادلك على السياس والبيوت وحق الذى لا يموت اعلم
ان السياس المذكوره خمس بيوت مشهوره الكبار منهم اثنين
والصغار منهم ثلثه فالثلاثه الصغار هم اولاد خنفس واولاد
هيصب واولاد ركال دقنه والكبار هم اولاد ريحان واولاد الشيخ
وهؤلاء اولاد الشيخ هم اقوى الجميع المشيخ منهم والوضيع واعلم
ان بيت اولاد هيصب فى بابه النصر واولاد ركال دقنه بالازكيه
وبيت خنفس بباب اللوق وبيت اولاد ريحان بالتبانه واما بيت
الشيخ وهو اكبر البيوت فهو فى الرميله فسير الى حيث اردت
من ذلك الجهات الخمسة المسميات وقل لهم انا طالب سايس
طاجن خوانكى حازم جداوى معدول القامه كامل الهامه جميل
الصوره ابيض الجلد احمر الخد اكحل العينين مقرون الحاجبين
راكبى وراقاعد قدام قنطره من بطيخ البرلس رقيق الشفه
صاحب حركات وصنعه ويكون بهذه الوصفه فان اتيت
بسايس على هذه الوصفه اعلم ان خيلك يتعلمون ويبقوا
احسن من خيول الوزرا ويكونوا احسن ما يكون فقال الامير
بيبرس ياعقيرب انا خيلى عندها السياس المطلوب وما

احتاج الاسايس ركوبه فقال له ياسيدى وهذه هي صفات
سايس الركوبه (قال الراوى) وكان قصد عقيرب بذلك ان
السياس اذا سمعوه مايرضوا يخدموه وان طلب منهم سايس
لم يعطوه لان السياس لهم بيوت ومراتب والغايب منهم لرنايب
واكثرهم اولاد عم واقارب فاعتمد بيبرس على كلامه ونهض على
اقدامه وشد بيده على جواده وسفقه لجامه وشد حزامه وسار
وهو لا يعرف اسما الاسواق ولا يدرى حد مصر من حد بولاق
لانه غريب ومايعرف الحارات ولا اتاها الا عن قريب هذا وقد سال
من رجل سايرفى الطريق وقال له اين باب النصر فدلوه الناس
بالتحقيق ثم سال من هناك على مركز السياس فراى قهوة مجتمعين
فيها الناس وهذه القهوه من داخل خيمه ولهم رونيه وهيبه عظيمه
فسالهم عن سايس فاتوه برجل اختيار فاعاد عليهم ماقاله له عقيرب
من الاخبار فقالوا له هذه الوصفة المسميه ماتوجد الا فى الازبكيه
وان لم تجد فيها المطلوب فامضى الى باب اللوق فهناك اولاد خنفس
واولاد وكال دقنه تجد فيهم المرغوب وتجد ماتطلبه هناك وهو قاعد
بيستناك فسار بيبرس الى ان وصل الى هاتين الجهتين وسالهم
عن مطلوبه فنهضا حكوا عليه السياس وكل من كان حاضر من اولاد
العرب فامتزج الامير بيبرس بالغضب ووضع يده على اللت
وجذبه وقال لهم ياكلاب انا مسخره حتى تلعبوا بى هذا الا لعاب
فقالوا له يا اغا اعلم ان مطلوبك ماهو عندنا ولكن تجده عند غيرنا
عند اولاد ريحان فسار الى ذلك المكان فلم يجد فيه ولا انسان وكان
السبب فى ذلك انهم عاملين عهد وشد فانفاظ الامير واحتد وغضب
غضبا شديدا مما عليه من مزيد وقال فى نفسه وما تكون الحيلة وما
لى الا ان اقصد الرميله ثم انه سار الى ان وصل الى الرميله وقد اميدان
ونزل عن الحصان قال وما وصل الى الرميله الا بعد مشقة طويله
وقال والله ما اعود الا بالسايس ولو اقعد الليل والنهار هنا
جالس وانا دايرحايس ثم سال عن مكان السياس فدلوه فوصل

اليوم وقد راهم ورأوه وقد رأى رجلا جالسا على مصطبه وهو
بلحيه وايره لا هو شاب امرد ولا شايب وبين يديه جماعه واقفين
وهو يقضي لهم دعوى فلما راهم ابداهم بالسلام فردوا عليه
بالتحيه والاكرام فقال الامير لهذا الرجل يا شيخ انا اريد سايس
واعاد عليه ما ذكره عقيب من الدسايس وكانت هذه خيمة اولاد
الشيخ وهم اكبر البيوت فلما ان سمع منه ذلك الكلام تصايحوا
عليه بالملام وقالوا له احسن كلامك وانت صاحب احتشام
يا قليل الادب يا ابن الزنا والحرام كيف تذكر هذا الكلام وتنسب
نفسك الى فعال الخنا والاثام وهذا عار على مثلك ان يقول هذا
الكلام قال فلما سمع الامير ذلك الكلام اخذه الهيام واشتد به
الغضب والزمق واراد ان يجرد اللت ويرمي عليهم ينطلق فراه كبير
الرجال وفهم منه ذلك السؤال فصاح في رجاله وقال لهم يا اولاد
الشيخ يا اهل الحيه هذا الصبي سالكم او سالني انا فاقعدوا في
اماكنكم ولا تتبعوا افعال الخنا فانا اعرف ان هذا الجندي معذور
وهذا ما هو قوله وانما عليه عليه رجل من اهل الغرور والفجور
وما قال له هذا الكلام الا لتنوير الفتنة بين السياس والمماليك
وتقوم على الجميع الحكام بالاحكام واذا سمعتم بمثل هذا الكلام فما
منكم الا من يقول ساس وتقوم من كل جانب السياس وما هي
الا فتنة من رجل خناس فاصبروا قليل حتى يبان الحق وتظهر
الاقاويل فسكتوا السياس وتقدم الامير عليهم وكان اسم عقيب
فدنى من الامير وتقرب وكان الامير واقف بين السياس وهو
راكب ظهر الحصان فقال له هذا الرجل كبير هؤلاء الجدعان
يا سيدي اخبرني من اي بيت انت من اهل العز والفخار فقال له
من بيت نجم الدين البندقداري وقد اتيت معه من الشام فقال له
يا مولاي هو عنده الاسطا عقيب سايس باشا وكان اذا
ارسله الينا ياخذ ما يريد وكان الواجب عليه ان ياتي الى عندنا
لان هذا الوزير كان عنده الاسطا الهرندو وقد قتل بالشام

ولعلك انت الذى قتلت العرند واسقيته كاس الحمام وقد انتبت
مع الوزير الى ذلك المقام فقال له الامير نعم ايها المقدام فقال
له ولعل عقيربه هو الذى علمك على ذلك الكلام وما قصده بذلك
الا هلاكك والاعدام ومراده ان ياخذ بثار العرند منك ويتسبب
فى هلاكك وعدمك وفى الحقيقة انه لا يخدم فى بيت الوزير الا
رجل من عندنا الا ان سياسم كلهم اولادنا وكذلك عقيربه والعرند
كلهم من خيمتنا ولكن دعنا الآن من هذا الاخبار واصبر الى آخر
النهار يكونوا جميع الاولاد هاهنا حضار فقال الامير سمعا
وطاعة وعلم ان عقيربه غشه فى الكلام والرقاعة هذا والامير
عاد الى الرمله وجعل يتفرج على طوابق اولاد الفنون وينظر
الى الكواه والمسارعين فلم يزل الامير ينتقل من مكان الى مكان
ويبذل لاهل الفنون العطا والاحسان الى ان لمست الشمس
ثوب الاصفرار وجاء وقت الاعصار وعاد الى خيمة السياس فراه
قد تغير من حال الى حال وبعد ان كان صيوان واحد صار اربع
صواوين بالكمال وفيهم الدكك الخشب وفى صدر كل صيوان
دكة كبيرة جالس عليها كبير القوم وحوله الرجال على الدكك
الصغار وراى كل صيوان زينه يخصه كامل وهو باهله حافل
وقد اخذوا فى غاية الترتيب فالرجال الاختيار يه وحدهم وكبيرهم
يقوم بواجبهم وكذلك الذين يحلقون ذقونهم ويربون شواربهم
فى صيوان آخر وحدهم وكذلك الاولاد المرد فى صيوان وحدهم
واهل الدقون السود فى صيوانهم ولا احد منهم يتعدى على صيوان
الآخر ولا يجتمع عليه ولو كان اخوه شقيقه وكبير الجميع جالس
بين الصواوين الاربع بحيث يراهم اجمعين من الشمال واليمين
والسياس كلهم جالسين متادبين (قال الراوى) وكانت هذه
عادتهم فى ذلك الزمان كل من كان سايس بطال ياتى الى هذا المكان
ويقيم فيه ياكل ويشرب وينكسى من الصيوان حتى تظهر له خدمه
ومتى خدم واستقر فى بيت المجد ومر يرسل الى كبير الخيمه كل ما قدر

عليه

عليه زياده عن المعلوم واما مصروف الخيمه من اكلها وشربها مطلوب
من كبيرها وذلك من الجمالات وغيرها يعني اذا كانت الجمالات تكفيه
كان ذلك هو المقصود وان احتاج شيئا غير ذلك يرسل من عنده من
يخطف الغنايم ويقولون انها غنايم لان عليه رواتبه من تبه وحاجات مركبه
لا يقدر كبير الخيمه يتاخر عنها فاذا كانت ليلة السبت والاحد يكون
العشا لهم عديس مفتوت وهو لهم في هاتين الليلتين قوت وليلة
الاثنين لهم حشنه وليله الثلاث والاربع رشيشه سخنه
وليلة الخميس يطبخ لهم بسيسين وليلة الجمعه لحمه ضان وهذه
عادتهم بلا توان واذا احتاج منهم واحد وكان له بيته او ولد في المطالة
طالت عليه فكبير الخيمه يعطيه ويتفق عليه الى ان يخدم وهكذا
طبع السياس في ذلك الزمان (قال الراوي) ولما ان اقبل الاميربيرس
كما ذكرنا ونظر الى هذا الترتيب كما وصفنا قال في سره صحيح ان هذا
المكان احسن واصلح من غيره ثم انه تقدم الى كبير الغوم فراه رجل
اختيار ومشيبه ووقار فسلم عليه الاميرخزعليه السلام وحياه
بالتعظيم والاكرام وقال له انت الذي مربط السايس قال له نعم
يا سيدي ولكن بشرط ان يكون جميع قوى وشاطر قوى فقال له الشيخ
يا اغا كل سايس له طلب وكل شئ له سبب وانت ايش طلبك فوصف
له بيبرس ما قال عقيرب فقال له ذلك الشيخ انا اوريك مطلوبك الذي
دللت عليه فان كان يعجبك فلا مانع ويكون لك سايس وتابع ثم
صاح الشيخ على غلام من المرد وقال له يا سيد احمد فاجابه بالندا
فقال له يا سيدي هذا الغلام يقال له سيد احمد من كفر الشرفه
وهو مطلوبك الذي بهذه الوصفه فتامله الاميربيرس واذا به ولد
جميل الصورة ابيض اللون ناعم الخد خالي العذار لابس لباس
دندكي مشغول تركي وراخي دكته لعند ركبته والدكم مزركشه
بالقصب والحرير ومتخزر بكمر جميل وفوق الكمر شمله عجمي وشاش
حرير برمامين تحته وعلى راسه شال احمر ووجهه مدور كانه
البدر اذا ابتدر وتكامل ليلة اربعه عشر سبحان من خلق وصور

فلما راه بيبرس على ذلك الحال زادت فيه انه اشتعال وقال للشيخ
ايش هذا يا شيخ الضلال اما انت رجل اختيار هذا يصلح لندمائنا
الخيول يا مكار وان هذا الغلام لا يصلح الا لبتوع الصنتار يمسك
لسيده الحمار ويكون نديمه وجليسه وقرينه بالليل وخادمه
بالنهار وهؤلاء يمدحون الاولاد من اجل الخنا والفساد وهذا
شئ لا يرضى رب العباد وما يفعل ذلك الا الاوغاد وقد قال
بعضهم في معنى ذلك شعر

ان من يمدح النساء قبيح * ان للمرد لذة في الفراش
منزل وخادم ونديم * وبمرد زوجة في الفراش

(قال الراوي) بيان الامير قال له يا ابو يا انا محتاج الى رجل كامل
العقل يكون لخدمتي معاني ولم يكن عنده كسل ولا توانى واذا ركبت
انا في سطوري يكون خلفي انا وحصاني ويكون معه لا للخدمة والجري قدامي
واذا ركبت انا بالحصان يكون قدامي مثل السرحان ففتح عينيك
وانزل عنك الهوان فلما سمع مقاله والكلام قدم له رجل تمام يقال
له شعلان فلم يعجبه وكذلك عجلان وبعده نصار وحسان فلم يعجبه
منهم انسان ولم يزل يقدم له واحدا بعد واحد وهو عنهم معتاد
وقدم له الجميع الصغير والكبير فلم يعجبه منهم جليل ولا حقير فتعجب
الشيخ والحاضرين من ذلك الحال وقد اخذهم منه الهيبة والكمال
لما راوه اعرض عن الاولاد المعدين للفساد وقد اهابه الشيخ ايضا
وصار لا يعرض له بعد لانه عرف انه هو الذي قتل العرند فلما ان
اعياه الامر ولم يعجبه من الحاضرين بشر فقال له الشيخ يا مولاي
روح انت الليله واذا كان غدا ارسل اليك مطلوبك ويكون على غاية
مرغوبك فقال له احضره الآن حتى انظره واشوفه واختبره فقال
له انا اقوم واروح عليه فاذا رايته بت به اليك واوصلته للمنزل
بين يديك فلما سمع الامير ذلك الكلام اراد ان ينصرف من هذا
المقام (قال الراوي) فبينما [illegible] واذا بضجة عظيمة قد وقعت
في تلك البقعة بين هؤلاء الصعو [illegible] مريبة جميع السياس وانزعجت

الناس ولم عاد في جميع الصواوين الا الشيخ بمفرده والنقبا بين
يديه فالتفت الشيخ الى الامير وقال له الآن امضى الى شغلك وفوز
يا مولاى بعمرك لان هذا الولد عايق جبار وبطل مغوار وفارس شديد
وقرم صنديد وشيطان مريد قال فلما سمع الامير بيبرس من الشيخ
ذلك الكلام تاخر الى خارج الخيمة والمقام حتى ينظر ما سبب هذه الضجة
والانزعاج وراى الناس يتناثرون افرادا وازواج وتامل الى هذا
الغلام الذى انزعج الانام فاذا هو غلام اسمر اللون جميل الصورة
حلو المنظر قالب سكر جل الذى خلق وصور وهو شاب مليح الكون
تحمى اللون بوجه مدور كدائرة القمر له عنق كعنق الغزال وجبين
كانه الهلال مفتول الذراعين متسع الصدر عريض المناكب الرجلين
صلب العظام كانه الاسد الضرغام معتدل القوام كانه عامود من
الرخام وهو مقبل يغنى بالموال ويصيح ويقول * يا ليل
ماضوا العدا اننا متنا ولم متنا * وتباشروا بالفرح فى طول غيبتنا
اذا اراد الله ورجعنا مثل عادتنا * فى منفع الدم نجعلهم غنيمتنا
يا سادة ولم يزل سايرا الى ان وصل الى ذلك الشيخ فلما راه قام له على
قدميه واجلسه وقبل يديه وقال له اهلا بجدى وقام بعده النقبا
وقبلوا يديه وكل واحد يقول له اهلا وسهلا بجد جدى فقال لاحد
النقبا يا ولد يا سليمان عند كش درهم للصروف فقال له وحياتك
يا جد جدى ما جانا جعاله ولا خدم عندنا احد ومديده جانب
الكوز وفرغه بين يديه فلم يرشيئا فيه فالتفت الى الامير وقال
له ولاى شئ انت واقف هنا يا شلبى فقال له انا عايز سايس
يخدمنى فقال للشيخ والنقبا وهذا الشلبى حيث انه عايز سايس
يخدمه منه فلاى شئ ما قضيتوا له حاجته واخذتوا جعالته فقال
له الشيخ الكبير يا جدى انا عرضت جميع المسايس عليه فما ينهم
ونظرهم ولم احد يعجبه منهم فقلت له يا ولد يا بان عندنا غير هم
فالتفت الى بيبرس وقال له ما اعجبك منهم احد لا راجل ولا
ولد فقال له الامير يا [illegible] م بطالين وما هم لمثلى

نافعين فقال له وما مطلوبك وفي اى شئ يكون مرغوبك فقال له محتاج
لسايس يكون طاهر من خوانكي حازم جداري وذكر له ما قدمناه من كلامه وتعيين
الذي قاله للامير فلما سمع هذا الغلام من الامير ذلك الكلام قال له ها انا
انا طاهر خوانكي حازم جداري وكلما قلته مرحبا بك وان اعجبتك كنت انا
خدامك من هذا الوقت واسمع احكامك واقبل كلامك فقال له الامير بيبرس
والله يا اخي انت عين مطلبي وانت دون الورا يغنيني وبك تنقضي حاجتي
ولكن هذا اذا كنت انا اعجبتك مثل ما انت تعجبني ويكون قلبك قد احبني وارضي
فقال له ذلك الشاب وانا خدمتك من ساعتي هاته الآن جعلني فداك يا سيدي
الامير واخرج عشرة دنانير ذهب وارماهم بين يدي الشيخ الاختيار فمد
يده ذلك الشاب واخذهم وقال له الجمالة وصلت سير الآن واوريني
بيتك حتى اتكفل بخدمتك واقضي سائر حاجتك قال فتعجب الامير مما
رآه من الفعال وكيف اخذ الجمالة وكيف هربت السياس منه وكيف
ان الاختيار يقول له ياجدي وابو شنب الحليق يقول له ياجد جدي
والامر متالي العذار يقول له ياجد جد جدي وقد شاهد كل هذه الفعال
ولكنه لم يبدي مقال (قال الراوي) وكان هذا الشاب يقال له عثمان بن
غزية الحيله ولم له في مصر من وقته وحيله وكان الاغا شاهين اوصى
بيبرس ان لا يخدمه الا من يقتل من خدمه ويرمل حرمه ويتيم ذراريه والذراري
وعلى مثل ذلك اوصاه الامير نجم الدين البندقداري فقال الامير بيبرس
في نفسه يعني هل يكون سايس احسن من هذا الغلام لم ار ابدا وما اخدم
غير هذا احدا ولو سقيت كاس الردا ولكن لاي شئ منعني الوزير نجم
الدين وخوفني منه ابو يا الاغا شاهين اما هو آدمي مثلي وانا غيره لم
اخدم احدا عندي فان اطاعني اكرمته وان خالف وعصاني قتلته واربح اولاد
مصر من شره وغائلته وضربه واذيته فقال كبير السياس لعثمان صحيح تخدم
ياجد عند هذا الانسان فقال اني خدمته والجمالة معي ولكن اسأله هل رضي
بخدمتي فسأله الشيخ عن ذلك فقال توكلت على الله فان من توكل عليه كفاه ومن
شر اعداه اجاره هذا وعثمان قد اضمر المكر في نفسه والخيانة في سره فقال
اريد ان اخدمه هذه الليلة حتى ينام واقتله واخذ ما عنده من الاموال

الطعام والملابس الحسان والسلاح والحصان وكان عثمان ايضا نظر الى
كيسه فراه ملآن ذهب فزاد به التعجب ونوى في سره على هذا الصعب ولكن
الامور بالمقادير وكل شئ له سبب بارادة اللطيف الخبير يا سادة وقد قال
الشيخ للامير يا سيدي خاطرك اخذ الجمال والمال فناوله الامير عشرة
دنانير في عاجل الحال فاخذهم مسرورا وادا بعثمان نظر اليه بالاعيان فاعطاهم له
بامان وبيبرس ينظر الى ذلك الحال ويتعجب من تلك الاحوال هذا وقد ركب
الامير وسار عثمان قدامه وهو مغطى راسه بدفيته وقد وصل الى سوق
السلاح فراه الامير مزدحم بالرجال والنسا والاولاد وهم يبيعون فيه
الحوايج مثل عادات الاسواق هذا والامير سار بالجواد على مهله حتى
انه خرج من السوق واهله وقد صار الجواد يختلط في النسا والاولاد
وكانت امراة ساترة فداس الحصان على حبرتها فمزقها وشرمطها فجعلت
المراة تقول ايش هذا السخام واللطام قد امتلات الارض من هولا الجنوس
اولاد اللئام ثم التفتت اليه وجعلت تسبه وتشتمه وهو لا يرد عليها
ولا يخاطبها وقد كثرت الاقاويل من الاولاد والرجال وصاروا يتسخرون
عليه في الحال وكل هذا وهو صامت لا يبدي كلام ولا مقال فلما راى عثمان
ذلك قال له اخيه عليك وعلى خدمتك والله ان موتك خير من حياتك
انظر يا منيوك ما افعل بهولا القوم ثم ان عثمان كشف راسه وسحب البرزة
في يده وصاح الله اكبر طريقين انا عثمان بن الحيله ابو عمامتين مصر قال
فلم يتم كلامه حتى جريت النسا قبل الرجال والبنات قبل الاطفال وكثر منهم
القيل والقال فالرجل صار يقول يا رفقتي ضاعت بنتي والحرمة تقول اخذوا
طرحتي وقد هربت الرجال والامم وتركوا ما معهم مرمى في وسط السوق
والاكم فقال بيبرس والله ان هذا الغلام قد شاع ذكره في جميع الانام
ثم ان الامير بعد ان خرج من السوق التفت الى عثمان وقال له يا اخي ما اسمك
حتى اني براديك واعرفك فقال له عثمان انا اسمي فراز فقال الامير وما
معنى ذلك فقال له اعلم ان الفراز عنده المناديل والقرايات وفوارغ الزهر
والماء الورد والفياشات فقال له ونعم الاسم بقي اذا كنت انا ديك اقول
لك يا اسطى فراز فقال عثمان نعم وانت ما اسمك يا شلبي فقال له انا يا اخونا

اسمي دقماق فقال عثمان وما معنى هذا الاسم فقال له ما اعلم اسمي هكذا
فقال عثمان في سره انما يكسر القزاز الا الدقماق وهذا يسمى القال يا عجبا
هذا وقد سار وا الاثنين واذا قد اقبل رجل سايس على عثمان وقبل يده
وقال له يا سيدي انت خدمت فقال له نعم خدمت هذا المهر الفلاني
ولا لي فيه معارض ولا نفيض فقال له الامير اسطا قزاز ردوق لقبله
روق فانا قد شلت لك هذه الكلمة في القاروق فلم يعبأ ما قال وكان مهيل نزلة
وسار قدامه فاقبل سايس آخر وقبل يده وقال له انت خدمت يا سيدي
عند هذا الجدي فقال له يا ولد خدمت عند هذا الحلق الذي ما رضي يأخذ
في البلد ولا يدلي ان اورثه الذكر فقال الامير اسطا قزاز والاخرى عندي
مثاله ولك نظيرها وسوف ترى هذه المقالة قال ثم ان الوسايرين
الى المسجد فقال عثمان يا شلبي دقماق انت من بيت من فقال له يا اسطا
قزاز انا من بيت الوزير نجم الدين فقال له وعقيرب هناك قال له نعم وهو
الذي علمني على وصفة السايس وقال لي لا تخدم الا ملك جواتكي واخبره
بما قاله عقيرب فقال له اذا انت عبرت من باب البيت فقل له يا عقيرب
ها انا قد جيت لك الوصفة التي وصفتها فقال له سير يا مضروب يا اسطا
قزاز هذا وقد دخل الامير من الباب وقال يا ولد صورتي يا عقيرب ها انا
اتيت لك بمطلوبك وجئت لك بمرغوبك ثم انه تركهم وطلع الى المقعد
وجلس ينظر ما يجرا وما يحدث فالتفت وكان عقيرب مشدود وعثمان
فنهض عقيرب ونظر الى السايس وكان الليل قد اقبل والنهار قد ارتحل
فظن عقيرب ان هذا ولد مناسب له فيما اراد ان يفعله فصاح عقيرب
وقال يا جدعان قد جا فالطلب وقرنا بما نريد من السيد هذا وعثمان
قد جعل راسه في عبه والتفت بمرفس ابيض وجلس على سرير عقيرب
فلما راه عقيرب وقد جلس على سريره صاح بصوت علا ان وقال دخلوا
للسمان يا جدعان واربطوه في مكانه مع الخيل واحذروا ان يفلت
بالليل وانا مرادي انظر الى هذا السايس حتى اعلم هو من اي بيت فلما يئس
بالسمع والطاعة [illegible] نظر احمد الامير [illegible] عقيرب [illegible] عثمان
[illegible]

يا ولد فقال عثمان بصوت ضعيف تعلم يا عم فقال له من اى بيت
انت والى من تنتسب فقال له من اولاد هيصم فقال له يا ولدى مرحبا
بك ما لك الا اكرامك واكلك وشربك ومنامك ولا تهين نفسك
ولا تحوجك ان تنتسب ولو كنتم اعدائنا لكن انت دخلت فى حمانا فلا تفتكر
فى شغلك فنحن نعمل لك كلما كان يخصك وما عليك الا خدمة نفسك لانى احب
ان تكون ذاتك نظيفة وثيابك نظيفة ولكن يا جدع المعرفة تدل على الصلاحية
وايش يكون اسمك فى الصفيحية فقال له يا عم انا نعرفنى وما اسرع ما نسيتنى
يا عم وحياتك انا اسمى عثمان بن عزيه الحبله (قال الراوى) فلما سمع عقيرب
هذا الاسم تخلخلت اعضاه وغاب عن دنياه ولعبت فرائصه وركبتاه ودخل
ايره الى بطنه وامعاه ولم يبق له عرق يتحرك ولا لسان يتلفظ هذا وقد كشف
عثمان وجهه وقال له يا كلب يا نسل الحرام انت لك زمان فى اللواط والفتا
وهذه الصنعة وفعل الانكاد وانا كبير لك عمرى ما اعرف الصغار ولا اصطنع
ذلك الاضرار وانت يا ملعون تقول للجندى هات لك طاجن خوانكى حازم
جداوى صاحب موخر مخصور ولا تخشى من كلام الفجور وتريد بذلك هدم
الاساس وتجعل بيت الشيخ معيره دون بيوت السياس ويتكلموا فى
حقنا الارازل والاداناس وتشيع بذلك السن الناس ولكن انا اعرف
اربيك وعن هذه الفعال انهيك ثم قال له دقر يا ولد وكانت هذه اللفظة
لغة عندهم فقال له انا فى عرضك يا جداه فجذبه من خناقة ارماه وضربه
بن زنة ثلاث مرات كاد ان يورثه الهلوك والممات فقال له اتوب على يديك
واحلف لك براسك وعينيك انى لم بقيت اجتمع بالصغار ولا افعل اللواط
والاضرار فقال له اياك ان تعلم بى الجندى او تقول له هذا عمى او جدى
فقال له سمعا وطاعة فعندها اطلقه فنهض وباس يده وخرج عقيرب
الى السياس وقال لهم يا جدعان هذا جدنا الاسطا عثمان فقاموا كلهم
يتجاروا اليه وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وكل منهم يقول له سلامات يا جدى
ومنهم من يقول يا جد جدى هذا وعقيرب قد قال له والله لقد اشغلت قلبى
انت صحيح خدمت عند هذا الشلبى فقال لهم يا ولد تادب فى قولك ولا تذكر
عيبا بين يدى واعلم يا فى لم ارض ان يكون نجم الدين البندقدارى خادما

عندى وهو وزير ويحكم على كل جندى فكيف اخدم انا عند هذا العلق ولا بد
له من قتله من يدى واريد ان اجعله الليلة لى عشا واسقيه كاس
الاسا ياساده ثم ان عثمان التفت الى الاصطبل فراى عدة جواد سرجويل
المهرى وهى من الذهب البندقى بفصوص من الجوهر النفيس ضياها ياخذ
بالبصر فقال يا عقيرب هذه العده وكوبة الوزير فقال له لا يا اسطا
هذه عدة جواد الشلبى فقال له ناولها لى حتى اجعلها اجرة مشوارى واذا
سالك عليها الصبح بعد ان يقوم من رقدته وعمامه وغفلته فقل له قد اخذها
السايس فى اجرته لانه مشى معك من الرملة الى هنا فاحمد الله تعالى الهنا
الذى اخذ العدة وابقاك وما قتلك ولا اذاك لانه قتال قتلى فقال
سمعا وطاعة ثم ناوله العدة دون الجماعة فوضع عثمان تلك العدة فى
ملاية وحملها على عاتقه وسحب رزته وخرج الى وسط الحوش
واراد ان يسلك الى طرقته (قال الراوى) وكان كل هذا يجرا
والامير بيبرس قاعد فى المقعد ينظر ويرى وقد نظر الى عثمان
لما ان اخذ سرج الحصان فصاح عليه يا علو صوته وقال يا اسطا
قزاز فقال عثمان نعم يا دقماق وقد اخذ الامير اليه ووقف
بين يديه وقال له ما هذا الذى على كتفك يا اسطا قزاز فقال له
هذا غسيل السماس وهذه عادة بين الناس ان الذى يخدم
فى مكان ياخذ الغسيل ويغسله لاهل ذلك المكان وانا قد
جمعت ثيابهم وقد اعود بها اليهم بعد ان اغسلهم فقال له
بيبرس هذا عيب كبير كيف تبقى خدامى وتخدم الغير طلع الغسيل
الى الجوار وهم يغسلوه حتى يعود مثل الجمار فقال عثمان يا شلبى
ما هو غسيل هذه شرايح قدام قصدى ابيعهم الى السروجيه
واصرف الى ثمان على ما تنعقد لى ما هيه فقال له يا اسطا ان كنت
محتاج الى دراهم اودنانير فانا اعطيك كل ما تطلبه ان كان قليل او
كثير فقال له عثمان اقول لك الصحيح فقال بيبرس ملح فقال له
هذه عدة حصانك فانى ما بقيت اتركها بالكليه وقد جعلتها اجرتى
من الرمله الى الحسينيه فانى انا لم اخدم احدا ابدا واسال

على يقولوا الك على هذه الفعلة واعلم باني انا اسمي عثمان بن الحجله وقد اعلمتك بلا تطويل وبيني في المراعه والقبر الطويل ولي عبد اسمه فرج وولد اسمه خليل وعلى باب البيت قنديل فقال له الامير طيب انا اعطيها لك فقال عثمان لحمد الله الذي نجاني منه ولم اقتلك واخذت هذه العده وطلعت بها من منزلك وانا بالحياة تاركك ولولا ان عمرك طويل لكنت قتلتك لي فرشت فقال له بيبرس يا اخي كثر الله خيرك وشكر الله فضلك ولكن يا اخي خذ هذه المايه محبوب مني عطيه واعمل معروف ولا تتسيب لي يا بيرو على معروفك وسير وامضي الى حال سبيلك (قال الراوي) هذا وقد غر عثمان الطمع وطلع من الحوش ورجع وعاد الى باب المقعد وكان بيبرس قام على اقدامه وله رصد ووقف خلف الباب فلما عبر عثمان الباب ضربه بيبرس على عقصته كتم الارض بخلقته فاراد عثمان ان يقوم بعزمه وشدته فوضع بيبرس رجله على رقبته واداره زنوده الى خلفه وكتفه بعمامته وكان لذلك المقعد عامود فصلبه فيه بحبل تيل من الكتان كان على حزام عثمان فقال له بيبرس لاي شيء هذا الحبل فقال عثمان اضرب به الناس في القلية الدجيه فقال له يا عثمان انت ناقص تربيه ولازم اني اربيك تربية الرجال الاسايد حتى انك تعرفني حق قدري وجديد ثم انه اخذ الزبة التي كانت لعثمان وضرب بها ضربا شديدا حتى كاد ان يغشى عليه هذا وعثمان تاره يستجير في السياس وتاره في الوزير نجم الدين وتاره يقول له انا في عرضك يا شلبي فلم يلتفت اليه وما زال يضربه بيبرس حتى تعبت يديه وتركه بعد ذلك مصاب على ما هو عليه وطلع الى المقعد ونام فاخذه من التعب الرقاد والمنام سبحان من لا يغفل ولا ينام وذلك بعد ان قال للسياس وحياة راسي كل من تقدم له وفكه لا يلوم الا نفسه ثم تركه كما ذكرنا ونام في المقعد كما اشرنا (قال الراوي) فهذا ما كان من امر الامير واما ما كان من امر عثمان فانه صبر الى ان تهور الليل وصاح على عقيرب فحضر اليه فقال له الملقى فتركه ومضى ولم يرد عليه جواب ولا ابدا خطاب فصاح عليه سبع مرات فلم يجبه ولا اليه التفت فقال عثمان وسر المبرجه لابد لي ان اخدم هذا الجندي بقلب سليم واعذبك يا عقيرب العذاب الاليم كيف ان يضربني ويهاني حتى كاد ان يقتلني وانت واقف لم تحوش عني ولم تقول حاس عن كبيري وتتركني فقال له يا كبيري اعلم ان هذا الغلام ولد حرام عقب ظلمه وقتال قتله وانا عارف

وانا عارف ما عنده والمرام وانه قبلك قد اذاقني الضرب والالام وهو الذي قتل
كبيرنا المرند بارض الشام واتى الى هنا في هذه الايام فقال له عتمان احقا
ما تقول ان هذا الجندي هو الذي قتل المرند يا عقيرب قال نعم هو بذاته وصفاته
فقال عتمان هذا جندي جبار وانا ليس لي قدرة عليه ولكن يا عقيرب سطني ومن
وثاقي خلصني ودعني اقيم معك الى الصباح فاذا علمت ان الجندي قام من رقاده ابقى
اربطني ثانيا وانا عاذرك في ذلك فقال له عقيرب انت لم ترض بذلك الحال ولا تخليني
اربطك بعد ان اطلقك من الاعتقال فقال له عتمان انا بذلك راضي فافعل معروف
واطلقني وانا اجاء الصباح اربطني فقال له عقيرب اخاف ان الجندي ينزل بالليل ليقاتلك
محلول فيعرف بانني انا الذي اطلقتك فيقتلني ولا احد بعد ذلك ينفعني فقال له عتمان
لا وحياة رقدتك يا عقيرب الا اخليك تربطني وقت ما تطلب فقال له هات ما انت قد حلفت
بدعتي واخاف ان تلعب بعقلي فقال له لا تخاف من شيء ابدا فروحي لك الفدا فتقدم
عقيرب وحل عتمان من على العامود وطلب بعد ذلك القعود فقبض عليه عتمان
وفي الحال ربطه على العامود وجعله مكانه بالسود ومسك الوزه وضربه علقة جيدة
وتركه مكانه واخذ العده وقد وضعها في المكان وشالها على اكتافه ونزل بها على حميه
واي حميه وما زال كذلك الى ان وصل الى القبر الطويل ودخل الى البيت واغلق الباب
هذا وعقيرب يصيح ويستغيث فلم يجد له ناصر ولا مجير (قال الراوي) واما ما كان
من عتمان فانه سار تحت ظلام الليل حتى وصل بيته كما ذكرنا فدخل وعلق ما معه
فقالت له امه مالي اراك قد اطلت الليلة الغياب يا عتمان فقال لها يا اماه اكل
شيء اسباب ولكن يا اماه انا جيعان فهل عندك شيء من الزاد حتى اسد به رمق
الفؤاد فقالت له عندي وزه محمره واخر ملوء رز مفلفل فقال لها هاتي يا ذكرتني
فقدمت له الطعام فتقدم عتمان وكسر لقمه واحده من الرغيف واخرج نشره من
الوزه وملا اللقمه رز واراد ان يضعها في فمه فتفكر ما جرا له فزاد همه وغمه وافتكر
بيبرس وعلقته فنزلت دمعته على وجنته فاخذ اللقمه من يده على عجله وقال
لها شيلي يا حيله فلما رات امه ما حل بولدها من الصوان ورق قلبها له ولانت
وقالت يا ولدي لاي شيء تركت الطعام وانت جيعان واراك في بكا واحزان وان ما هي
عادتك القهر وانت ابو عيال عصرانت قتلت الوالي وكسرت الوزين وما بكيت
فلاي شيء جرا حتى ادركك البكا والالآم وحرمت الطعام فقال لها آه يا اماه

اخذني واحد منهم وحمل على عنقه وهو ولد اشقر له سبع نقط
سود على جبهته وشعره واقف بين حواجبه ورسمه عديده مكتبه
لها اربعة وعشرون حرف الله يلعن الذي علمها فضربني بها بعد
ان رماني الى الارض وكتفني بها حتى وربطني على عامود المقعد وصار
يضربني ثم انه اشار لهم بامر جاس من اول الامر الى آخره واطلعها على باطنه
وظاهره وقد قال لها في آخر كلامه وانتي لما تفكرت هذه الحلقه وما
حصل من الآلام فما امكنني ان اكل الزاد ولا الطعام ولا عاد يهنا
لي رقاد ولا منام الا اذا اخذت منهم بثاري وانبطه بيدي واجمع
الثمانين مشاديدي اولهم عقيرب وزعيرب وشعلون ومهران
ومداغ الشكل ومذكور وصدع المهر وابو الشامات وصاطب الحكم
وابو اللبد وابو العذب والمخذهم واطلع الى مغاير الزغليه وطلب احمد
ابن طيلون واذا اسمعتني الميات جميعا اخبر الجدران بما جرا لي لاجل ان
يساعدوني على اخذ ثاري واكشف عاري واكون انا الغالب وما اكون مغلوب
وانال القصد والمطلوب فقالت له يا ولدي افعل ما تريد الله يكون في
عونك ويقويك والمبرقع معك تتصرف وبه تدل على جميع اعاديك فقال
لها آمين يا امه ثم انزل من عندها وقد اشتغل عليه قلبها وتهم مشاديده
الثمانين الطوايف الفكره الرديه وسار بهم الى مغاير الزغليه ويجعل يحكي لهم
على ما جرا له وما وقع له من الاذيه وهم يسمعون ومن ذلك الامر
يتعجبون (قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من
الاميير بيبرس فانه لما بدت فرقة الصباح واضاء النور على الاكوان
ولاح قام من النوم واستراح وتوضا وصلى صلاة الافتتاح وطلب
الطعام فاحضروه فاكل حتى اكتفى وحمد صاحب الطعام والوفا
وغسل يديه ونهض على قدميه واخذ اللثام في يده ونزل ليضرب
عثمان ويهدده فلما دنى منه وتامله فراه عقيرب وهو مربوط على
العامود وهو يبكي ويصيح ويلوذ فقال الاميير عقيرب قال نعم
قال له انت قد وكلك عثمان في مكانه وعصى هواني اوطامز فقال
له عقيرب هذا بعدي وانا الذي طلبته لانه شحك علي واغواني

وحلف لي اول وثاني وقال لي حلني حتى استريح واربطني ثاني
وضحك علي حتى فكيته وربطني كما ترى فقال الامير خير ما جرا
وان الوكيل كالاصيل وحيث هو جعلك مطرحه فعليك كفايه
لمن يريد يضربه او يصلبه وعلى كل حال انا مالي الا واحد اضربه
واشفي قلبي من تحذيره ثم امر جعل يضربه عقيرب ضربا وجيع
حتى اشرف على الهلاك وسود الارتباك وهو يصيح في بعيرتك
ياشلبي فهذا غاية ادبي وهو يقول له اين عثمان يا قليل الادب
يا مهان واين عدة الحصان فقال له يا مولاي اخذها عثمان ولكن
ارجع عن ضربي وانا اجمع لك ثمن العدة من الخدم والاسطاوات
واخدم حصانك على ما تاتي بسايس يكون صالح للمهمات واعلم
ياسيدي ان كان مراده قتلك واخذ العدة في مشواره حيث
اني معك فقال له جزاك ما حل بك ولكن وحق راسي ان لم تقول
لي على بيت عثمان والا قتلتك واقتل كل من تعرض لك او اراد
يطالبني بدعلك فقال له اعلم ياسيدي ان عثمان يذكر في قوله
ان كل من دل احدا على منزله لابد ان يقتله ويعجل مرتحله وانا
والله قد وقعت بين امرين خطيرين وخطبين داهيين فان لم اقل
لك على بيته قتلتني وان قلت لك عليه فهو الذي يقتلني وانا علي
اي الحالات مقتول ولكن انا اقول لك على بيته بعد ان تحلف لي انك علي
لم تقول فقال له اعلم يا عقيرب انني اذا عرفت بيته اتيت برا لي هنا مكتوف
وهو مكروب ملهوف واستوفي حقي منه وانا الذي لا ارجع عنه ولا بد
من ضربه واوريه فان خدمني بنيه صادقه اصلحتك واياه وان لم
يفعل اقتله واعجل فناه واقتل جميع اولاد بيت الشيخ من بعده والعن اباه
وجده فقال له عقيرب والله ما انت الا جبار فالله يجيرني من مكايدك والاشرار
فقال الامير والله العظيم ان اعلمتني على بيت عثمان لم افتن عليك ابدا
فان الفتنة الهن واشد من القتل واردا وقد قال القائل في مثل هذا
المعنى حيث يقول

لاتدع امرا لاعنف كل ذي ثقة * من اكرم الناس دوما ينفي العار

وفاشي السر مكروه وملتعن * ولم له بين خلق الله تذكار
وتاعنه اهل الارض حقا اذا علموا * انه لافشاء السر جمار
كذا ملوك السما والارض قاطبة * يلعنوا كل نمام وفشار
احفظ لسانك بالاسرار واكتمه * فالسر والعرض لاتذكر باخبار
وقالت الشعراء العارفين على * من يفشي السر والاعراض اشعار
من باع بالسر كان القتل سيمته * دون الرجال ولم يؤخذ له ثار

(قال الراوي) ثم ان عقيرب قال ايها الامير خلني وانا ادلك على منزله ويكفيني مئنك ما قد ذكرته فعند ذلك حله بيبرس من عقاله والوثاق وقال له هات ما عندك يا امير الرفاق فقال له اسمع مقالتي بلا تحويل فبيت عمان في المراغ والقبر الطويل والكاره هناك شهيره مسميه يقال لها ضرب عزيه قال فلما سمع بيبرس ذلك المقال فرح واتسع صدره وانشرح وقام وركب جواده وتقلد بعدته جلاده وسار بهذه الوسيله حتى اقبل الى الرميله واراد ان يسال فاقبل على رجل سايرفي الطريق وقال له يا ابويا ارشدني على التحقيق فقال له الرجل ما الذي تريد فقال له قبرك الطويل فيه مرغوبك اين هو فقال له ياسيدي لما اموت يبقوا يرضعوني في قبر طويل او تصير على حد سوا فقال له ياشيخ هذه اسم جاره فيها السايس الذي عندي فقال له ياسيدي لم اعرفها فتركه وسال غيره فلم يريحه واخر كذلك فقال الامير صدق من يقول السؤال ذل ولو اين السبيل ثم ان الامير عبر الى الرميله فراى رجل جميدي يمدح على الطبله فاقبل اليه وقال له ياشيخ عرفني درب عزيه للحبله فقال له مرحبا بك انا ادلك واوريك وارشدك واهديك فاعطيني اجرة تعبي وبعد ذلك سير خلفي واتبعني فاعطاه الامير عشرة دنانير من الذهب فسار قدامه والامير خلفه حتى وصل الى درب عزيه الحبله وقال له هاهو الدرب المطلوبه ولكن وحق علام الغيوب لولا خوفي على روحي كنت اوريتك بيت هذا الرجل المطلوبه وتركه الجميدي وسار الى حال سبيله قال وكان درب عزيه الحبله واسع محتوي على مسالك ومواضع وعطف وشوارع

وفيها دكاكين تاجر عظيم وجاعل الحارة مثل الميدان وفيها
مخابز وافران وطواحين لاهل الحارة اجمعين وكان عثمان منبه على اهل
الحارة ان كل من كان يعرف احدا بيته ومنزله فاريد ان يهلكه
ويقتله ياسيده فاقبل بيبرس على دكان رجل عطار وسلم عليه فرد
عليه السلام وقال له ياسيدي وما تريد من هذه الحارة فقال له
اريد رجل منها فقال له انا قديم الحارة اعلم وانا ادلك على الاشارة
والاحارة فقال له اذا سالتك على شئ وتكذبني فسوف تندم ندامة شديدة
وتتوصفه فقال له نعم يا مولاي وما الذي يتخالف علي فقال له
اريد منك ان تدلني على بيت عثمان بن الفيلسوف السمابسي فلما سمع
الرجل العطار ذلك الكلام غاب عنه صوابه وتغير لونه وقال
له ياسيدي كان عثماني ولكنه فرغ وهذا ما ياتي عليه الا في
كل سنة مرة واحدة وان الذي ياتون به الرجال الجلادين فقال بيبرس
ايش هو يا ابو يا فقال له انت تطلبه وتقول ما بيجاجم النيران
فقال له لا يا ابو انا طالبه بيت الاسطى عثمان فقال له ان العطار
موجود عن ذلك الذي ذكرته القرفصل والحيران فقال له يا شيخ بيت
الاسطا عثمان فقال العطار انه لم يوجد في العطارة غير هذه الاسنة
فاي صنف اريد ولم يكن فيه خلاف فصاح عليه الامير وقال له يا شيخ
بيت الاسطا عثمان فقال له دونك وهذه الدكان ودعني اعيش
في امان فلما سمع منه ذلك الكلام ذهب وترك بيبرس على النار وليته وكان قدامه
دكان رجل خضري ناشف فقال له يا شيخ هذا رجل مجنون وما عنده راحه
لنا فان اردت شئ فاسالني انا وانا ادلك على كل ما تريد وتروح باذن
الحي القيوم فقال له الامير ان سالته اولا عن هذه العمارة فاخبرني
انه قديم العمارة فقال الخضري هذا كذاب وما عنده شئ من الاسباب
غير هذه الاشيا المسخرة وقد كان في الشهر الماضي لما قيمت فخرقة
وما احد اغيري في العمارة قديم واعرف ساكن بيوتها وادري ايضا
اولادها واهلها فقال له اذا سالتك تدلني وعلى ما اريده ترشدني
فقال له نعم اسال ما تريد فالت الرجل سعيد فقال له انا طالب

يسمى الاسطا عثمان بن الحبله فقال له يا سيدى انا عندى سلم الريح وهو
عليه مقطوعه جديده فقال له يا ولدى يا بيت الاسطا عثمان فقال
يعمل لى واحد الريم فقال له يا شيخ بيت عثمان بن الحبله
يعمل للرجل الفطار ما سمع من هذه الفضله والا الآخر لاحظ من ذلك
الكلام وسمع فلما عاين الامير ذلك تعجب غايه العجب وعرف ان كلام
عثمان صحيح وله سبب (قال الراوى) فلما ايس الامير بيبرس
من اهل المكاره قال فى نفسه هذا الا لايام الا بالاحتيال فالله
ما يفيدنى من ذلك ما اعمل يشق فى النهار يمينا وشمالا وبعد ذلك
وقف مفتكرا فى امره ولا يدرى ما يفعل فنظر وجهه واذا به وقف على
فرن فوجد رجل واقف يحمى قدام فرنه وهو يغنى بالموال ويقول
لمن صد وهجر والهوى زمان * والصد هينا والهجر بشاذر وان
حطيت ايدى على الضبه وانا فرحان * تقربى وقال ثيل كرا منى
من ثقل ايدك خليت المنجى بان

(قال الراوى) فان الرجل الفران التفت الى بيبرس وقال له يا بن كشمان فقال
نعم يا عماه فقال له اوصلت الجرايه الى بيت الاسطا عثمان خمسين رغيف
تمام فقال له نعم يا سيدى من قبل الشمس ان تشرق على المسلمان فقال
الامير فى نفسه ما اعدا بقى يدلك على هذا المكان الا ان كان هذا الرجل
الفران ثم انه نزل من على حصانه ودخل الى ذلك المكان وقد اخذ قطعه
من الخشب الذى فى الارض وضرب بها الرجل الفران وقال له لا كنت
ولا كان ولا تصورت بلد اوطان لاى شئ ما ارسلتش الجرايه كامله الى
منزل سيدى عثمان بن الحبله فقال له يا سيدى قد ارسلتها مع هذا
الغلام خمسين رغيف تمام فقال له انه لم يؤدى الا خمسه عشر رغيف
وفيهم اربعه محروقين وانا والله يا كلب ما اتركك حتى اجازيك على فعالك
فقال له يا سيدى انت تعرف عثمان بن الحبله فقال له وكيف لا اعرفه
يا كلب وهو ابو عياق مصر فقال له بيبرس يبقى انا كداب يا راجل
يا فران يا ذليل يا مهان ولكن سير معى الى البيت وانظر ان كان كلامى
حق والا انا الذى ظلمت وتعديت فنهض الفران يجرى قدامه وبيبرس

تابع اقدامه الى ان وصل الى البيت وتقدم الفرنساوى ليطرق الباب فقال له بيبرس لا تفعل يا ولدى واسمع منى الخطاب ثم ان الامير اخرج له عشره ذهب وقال له خذ حتى طريقك وارجع الى فرنسا وخبر ملكك بما جرى لانى علمت قدومك وعلمت هذه الحيله حتى انك عرفتنى البيت فانى كنت لا اعرفه ولولا انت الذى اليه اوصلتنى وعليه دللتنى فجزاك الله كل خير فلما سمع الفرنساوى من الامير ذلك المقال اخذه الانذهال وقال له انا ما بقى لى اقامه ابدا فى دربك غزيه ولا فى مصر بالكليه فان عثمان اذا علم بذلك يقتلنى ولم يبق يرحمنى لانه قال كل من دل احدا على بيتى قتلته بيدى فقال له الامير يا شيخ لا تخاف فان الله صنع حيلك فارجع واسقر وخذ هذه العشره دنانير الاخر ولا تتغرب ولا تطلب السفر واعلم بانى ان قبضت على عثمان احرمته النوم على فراش الطاعن (قال الراوى) فمضى الفرنساوى الى حال سبيله وتقدم بيبرس يريد ان يطرق الباب واذا برغيف من الرصاص نزل عليه من طاق الباب ومن عزم خبطه وشده تارتشق فى ريشه من خودته فالتفت الامير وقال من الذى ضربنى وهو ستارى فى الحيطان اظهر قدامى فى الميدان واذا برغيف كان قتلقاه الامير بحد السنان فطار نصفان وتامل واذا قد خرج من البيت ولد عبد كانه فرخ الجان وانطبق على بيبرس كما تنطبق الفرسان فضربه الامير باللت الدمشقى على صدره طيره من على ظهر الحصان وبعده خرج فارس مقدام ضارب على وجهه لثام وقال لبيبرس يا ولدى ما هذا مقام حرب وقتال وضرب وصدام اطلع بنا خارج المكان انا وانت فى الميدان فقال له بيبرس دونك وما تريد فانا لك اطوع من العبيد ثم طلعوا الاثنين الى خارج الطاره وتقاتلوا مع بعضهم البعض كانهم الجن الطياره هذا والامير بيبرس زاوغ الفارس وحاربه واكر به وصاح فيه ارعبه ومد ليده كانها رقبة البعير ومسكه من خناقه وجذبه اخذه اسير فقال له ذلك الفارس يا سبع الرجال هل لك ان تعفى عن حرمة ذات حجال فقال الامير نعوذ بالله الملك المتعال ثم اطلقها من يده فى عاجل الحال وقال لها من تكونى من ربات الحجال

فسها تعجبن من هذه الفعله ولو كنت انت المتعدية علي من قبله فقالت
له يا ولدي انا اعلم انني من قبله لم الاسطا عثمان تابعة وخادمة
حتى اني ربيته كان وهو صغير ملك واخيك من هذا الوقت الى آخر الازمان
فرد الله انك تسمى قبله فسبحان من رفع قدرك وعلى سريرك قدمك فما
انت الا بطل كرار وفارس مغوار وسيد ملوك الاقطار انزل يا امير الى
هذا المكان يا محروس يا بيبرس عربي انت صاحب السعادة باذن من له
المشيئة والارادة فقال لها بيبرس وقد تعجب من امرها يا امي انت ام
عثمان قالت له نعم يا ولدي العصر والاوان فقال لها واين ولدك عثمان
دليني عليه حتى اني اطلبه اينما كان فاني قد اقسمت بالله تعالى الملك
الديان انه لابد ان يخدمني على هذا الازمان وان لم يفعل ذلك فاني
اقتله وانزل به الهوان وان هذا الامر لابد منه ويما لنا عنه فقالت
له انا ادلك عليه ولكن بعد ان تاكل زادنا وتشرب شرابنا ليكون
لك حالنا وعليك ما علينا قال فلما سمع الامير كلامها اجاب سؤالها
وطلع معها الى اعلا مكانها فدخلت به الى قاعة لها عة باربع لوانين
ودورقاعة فوجدها ملآنة من مقل وعنابر وطلخانات وجبب ملونات
وقفاطين وعبايات وشيلان وجبابزيات وقشاوات غالية وطيلسانات
وهم الوان ملونات ومنهم مزركشات فلما عاين الامير بيبرس هذه الحالة
تعجب منها وقال يا ام عثمان ان بيتكم هذا مثل الاسواق فجمع من
كل شئ اصناف من سائر الاجناس من دون وسط رجال وملابس
نساء ورجال فقالت له يا ولدي كل هذا يأتي بهم ولدي عثمان ويأخذهم
من اصحابهم بالاذية ويفعل معهم افعال رديه فتعجب الامير بيبرس
من ذلك الكلام والتاليم وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
(قال الراوي) ثم ان خزيمة الحيله قدمت له الطعام الذي كانت قدمته
لولدها فراى الوزه مجروحه وراى الرغيف محرفا مكسورا من عنده
لقمه والمشيالة ملوثة من زرق فقال لها يا امه انا لم ار اكل فضلة الانام
فقالت له هذه قسمة لك من الملك الديان والله ما جرح هذا الطعام
الا اخولك الاسطا عثمان واني لما قدمت له الطعام جرح الوزه

وكسر اللقمه وعاد الشياله واراد ان ياكل فتفكر ما فعلت معه من
الفعال فبكى ونزلت دموعه على طرفان وحلف انه لا ياكل ولا يقرب له
قرار حتى ياخذ بالثار وكشف الخبر فقال لها الامير وانى ابن مضى
فقالت له غزيه قد مضى الى مغاير الزغليه وملاعب الجن يتمايلون
ويجتمع هناك بالعياق واهل الفجور فقال بيبرس وانا لا اكل ولا
اشرب الا اذا اتيت به رغم انفه على اى الحالات فاما ان يهديه الله فيقع
رب البريات الى خدمتى ويسمع كلمتى وان لم يفعل ذلك اسقيته
المهالك واقى براسه واخذ حسه ونفسه واعجل فناه واريح
المخلوق من اذاه فقالت له ترفق به يا ولدى فانه خادم ملك ويحافظ
عهدك وملك زمانك وانا اسال الله تعالى ان يهديكما لبعضكما ويجعل
محبتكما صادقه لبعضكما وتكونوا اخوين متوافقين على سر مستقبلين
فقال لها الامير آمين ثم اراد بيبرس ان يقوم ويترك الاكل وتلك
الرسوم واذا بغزيه قالت له اصبر يا ولدى حتى احدثك بما رايته
فى المنام ولذيذ الاحلام فقال لها قولى يا بنت الكرام فقالت له انى
قد رايت فى منامى السعد ام القناع الظاهر ست السمات صاحبة
المقام الباهر المبرقع بالانوار نفيسة العلم رضى الله عنها وارضاها
ونفعنا الله بها وهى تقول لى يا حبله طيبى نفسا وقرى عينا
وافرحى فرحا كثيرا فقد اقبل سعد ولدك وذهب شقاه وقد
انته الهدايه والرعايه والولايه من مولاه ورايتك انت فى يدها
اليمين وولدى عثمان فى يدها اليسار فقلت لها ما سبب ذا ما هذا
الغلام فقالت لى هذا بيبرس مجدد النجمى الدمشقى الخوارزمى
ولا بد ان يكون هذا الغلام ملكا وسلطانا على ممر الليالى والازمان
وسيكون له حرمة ترفع وكلمة تسمع وهو صاحب العز والافتخار
وناصر دين جدى محمد المختار ومهلك جيوش الكفار وهذا ولدك
عثمان يكون له بعد ترشان واى شان فاذا اقبل الملك وعليه
سالك فذليه ولا تفزعى منه ولا تهابيه وبهذا المنام مضيت
فى الميعاد الذى يكون بينه وبين ولدك ذكريم ثم بعد ذلك

انتبهت من منامي وقد بانت لي ديارك وقد امحى فقلت في نفسي
هل يكون هذا الرجل شجاع وقور متواضع ولا بد لي ان اختبره في الحرب
والقراع فنزلت الميدان وجرا من الامر ما قد جرا وعلمت انك صاحب
الامارة والاشارة والحجة الواضحة والصورة الحسنة الصالحة وها
انا قد اخبرتك بقصتي وما رايته في رقدتي وبعد ذلك فوصيتك
ولدي غاية الوصية فما لي غيره في هذه الدنيا الدنية فاذا القيته فترفق
به حتى يزول الغضب من راسه وقلبه (قال الراوي) فلما سمع
الامير بيبرس كلامها اجابها الى طلبها واوعدها انه لا يادي ولدها
ثم انه سالها الدعا فدعت له بقلب خالص ونية ونزل بعد ذلك
من عند عزيزه وركب جواده وسار وفي امره قد احتار وقال في
نفسه ومن يدلني على هذه المغاير وانا في امري حاير ثم انه تفكر في
نفسه وتدبر امره فقال هذا الامر ماله الا الحيله ثم انه صار يتامل
في الرميله فوجد رجل يبيع بطيخ فقال له يا شيخ هذا البطيخ مليح قال
نعم هذا بطيخ من بلدنا يقال له بطيخ سواده بطيخها معروف بين الناس
بالحمار والصفار والحلاوه وقد قال القائل في ذلك شعر

بطيخ سواده بلدنا * كله حلاوه وسكر
اذا قطعته تلاقيه * ابيض احمر واصفر
لكن اذا اكلت منه * باينه صافي مكرر
اول زمانك يهنولك * بالضرب على الوجه مجهر
لكن لك صدغ ناشف * لضرب الاقلام محضر
نعزك اذا كنت مشقوق * وتبان من الشق احمر

(قال الراوي) هذا وقد تقدم الامير بيبرس اليه واشترى منه
عشرين بطيخه كبار ودفع له فيهم دينار وسال من حمار يشيل عليه
واذا برجل حمار يقال له الشيخ علي الاعرج وهو رجل معكوس من
الزمان يحب اكل التين من الصبيان ويكره النسوان وكان مع ذلك
كله له امراة ذات جمال وبهاء ودلال ولكنها معه في غاية من الذل
والنكال لانه كل ما كسب شيء ينفقه على العيال ولا يوصل في بيته

شئ من الاموال وكان هذا الحمار له عاده في حياره وهو انه يظلم من
اول النهار ويخرج الحمار ويعرف الشيخ على الحمار انه هذا النهار حمار لا
لا يكتسب فيه على حسب الاقتدار واذا كان اول النهار يخرج
بالحمار وراه خارج صحيح يقول هذا النهار نهار شيخ ويعرف انه لا بد
ان احدا يسخره ويتعبه ويقهره وهذه عادته فلما كان ذلك النهار
وشد الحمار وخرج برمى الدار واذا بالحمار خرج يجرى على الارض
كانه سبع قد رفع وبرطع فلما راى الشيخ على الحمار ذلك قال يا فتاح
يا عليم هذا النهار قد بان من اوله وانا ما لي غرض اخرج به ولا اصوله
ثم انه رجع الى الدار بالحمار وربطه وجلس الى جانبه فقالت له زوجته
وكانت قد وضعت في ذلك النهار غلام كالبدر التمام يا شيخ على
هذه الفعال عليك حرام ها انا قد وضعت وما عندك شئ به
القوت وها انت قد رجعت وتركت اشغالك وما سرحت وكيف
نعمل وما الذي تفعل اخرج بالحمار فلعل الله يسهل لنا برزقنا
ورزق الحمار فقال لها الشيخ على عجايبه وانا اعمل ايش في ذلك
السحلول وانا كل ما ارسل الملك الشلبي مره تاتي فيها برسول مع
ذلك فانا انا عايز اولاد وهذا شئ كله فساد هذا وقد تكلمت معه
النساء والسكان ولا سوه على ذلك الفعال اهل ذلك المكان فاخرج
الحمار وخرج وصدره ضيق حوش فخرج الحمار يجرى كانه الريح الهبوب
او الماء اذا اندفق من الانبوبه فقال الشيخ على انا عارف هذا
النهار وفضايله وها هو ظاهر من اوله ثم انه خرج بالحمار وصار
الى مخارج الشوارع فراه بتاع البطيخ والحمار قد امه هالع فصاح
عليه وقال له شيل هذا البطيخ وسير مع هذا الامير فقال له وقد
تامل الى الامير بسير سوء فراه كامل الصندام فايق القوام بخد احمر
مورد وطرف ناعس فاتر وهو لابسات بهار ضيم احمر دامر فلما
راه البهار انصرف عنه ما كان اعتراه من النكد والانكدار ونسى
الانكسار والصغار وقال اشيل البطيخ واسير به الى اين تريد وها
انا اطلع لك من السبيل ثم انه حمل البطيخ على الحمار ومشى خلفه

والامير

فالا ميرلة ركبوا وساروا حتى خرج من القفار وساروا الى الخلا
والقفار فاقبل الحمار على الامير وقال له ياسيدى ترسمنى من
من اى البريه انت ياجندى فقال له يا ابريا انا سوريا من
المدين المنصورة فارك فقال الحمار وهو مملوك امير ساري ثم ان الحمار
ان يمازح الامير بالكلام الفحش فقال له اعلم ياجندى اعلم انه كان
هنا غلام مملوك وكان رفيقى وكنت اعطيه كل ما املكه والقصه
وكان نافعنى فى شدتى وضيقتى ومازال معى مدة سنين كوامل عنديه
الى ان ترقى واخذ رتبه صحبتيه فان اردت ان تكون مثله وتعلوا
مرتبتك حتى تبلغ منزلته نطاوعنى فيما اطلبه منك ومن الآن تكون
انت رفيقى وانا مثل عبدك فقال له الامير وقد فهم قصده وعلم
ما عنده وقال فى سره هذا رجل لوطى ذميم فحوقل ولا قوة الا
بالله العلى العظيم ثم انه تبسم فى وجهه ولان له فى قوله فطمع الحمار
فيه من قلة عقله واخرج له ستين فضه وقال له خذ هذه الدراهم
فهم الذى حوشتهم المبارحه من البهايم فاخذهم منه الامير وقال
له جزاك الله خير ثم انهما سارا قليل حتى بقوا فى ذلك البر الطويل
وقال الحمار ياسيدى من اخذ الاجره ماسبه الله بالعمل فقال له
الامير وايش يكون العمل فقال له ياوجه الهلال انا ما اطلب منك
الا الوصال فقال له بيبرس اصبر يا شيخ ولا تذكر هذه الحالات
حتى اننا نبعد عن المقابر والاموات ونرود الامام ونعود بعد ذلك الى
مكان يكون خالى من الانام ويبقى تفعل معى كلما تريد فانا عن تولك لا احيد
لان الاموات يشهدوا علينا يوم القيامه بين يدى رب البريات فقال
الحمار ولاى شئ ذلك التاخير وانا والله كل ما اتانى الى بيعه وصيده
الى بها الى هذا الموضع وعندم ابعد ولا اسير فقال له بيبرس هذا
شئ يبقى حرام عليك فطاوعنى فيما اشرت به اليك فقال الحمار اذا كان
كذلك فاعطينى بوسه ودع عنك الوسوسه فقال الامير هذا
بعد ان نقضى حاجتنا وتتم زيارتنا ونبقى نعمل ما اردنا فسكت
الحمار وعقله من راسه قد عدم وطار ومازالوا كذلك وهم سايرين

باهتمام الى ان وصلوا الى مقام الامام فقال الحمار يا شلبى هذا الامام
الشافعى فقال له يا ابو يا الامام الكبير فقال له الحمار الامام الليث
فقال له نعم فسار الحمار الى ان وصل الى ذلك المقام فقال للامير
هذا هو الامام الليث فقال له يا شيخ الامام الكبير فقال الحمار يا سيد
ما بقى لا صغير ولا كبير وانا من هاهنا لم اسير فقال الامير يا ابو يا
اقول لك القول الحق والكلام الصدق انا اريد اقطع هذه البريه
واوصل الى مغاير الزغليه فلما سمع الحمار ذلك الاخبار غاب صوابه وزاد
التهابه ونزلت عليه الرزيه وقال له يا جندى لا تحمل على نكدى وعندى فالله
يبرى لك القاعد من السفير العدديه واجرة البطيخ وعفنى من هذه القضيه فقال
له الامير وهذا البطيخ ارميه انا هاهنا والا اشيله انا فسير معى يا شيخ واخزى
الشيطان ولا تكون رجل خرفان فقال له انا عاد ارجع مغاير الزغليه ولو شربت
كاس المنيه فقال له الامير والله ان لم تسير فى اقل من ادبك والا عجلت
عليك واهلكتك ثم سحب اللت فى يده وراه الحمار معه فزاد خوفه
ونكده وسار على مضض ولم لم يرض وصار يبكى والحمار يجرى والشيخ
على الحمار يقول قد بان لى بطالع ذلك النهار فيا يتم العيال ويا شماتة
الاعدا فقال له سير يا شيخ اما انت طالب الوصال واعطيتنى
الدراهم لاجل ذلك المال فوصلنى الى مغاير الزغليه وانا ابلغك هذه
القضيه يا شيخ اما انت رجل كامل لغيار فكيف تفعل فقال الضلال والاخسار
كل هذا والحمار يجرى والحمار يبكى حتى وصلوا الى المغاير وبانت لهم الاماير
فقال الحمار يا جندى هذه المغاير قدامك وانا مرادى اعود الى محل سبيلى
ومن جملة الدراهم والاجره الله يسامحك (قال الراوى) فعند ذلك
نزل الامير يسير عن الحصان وتقدم الى الحمار وكتفه كتافا مثل
النار بعمامته وربطه تحت بطن الحمار وجعل رجليه عند رقبته وراسه
عند رجليه وكان فى بيضة الحمار دبانه وقد طلع الحر وظهر اوانه فكانت
الدبانه كلما تقرص الحمار فى بيضه فيرفص الحمار فى راسه واذانه وربما جاء
حافر الحمار فى وجهه وتاره يحكم فى دقنه وهو يصيح ويستغيث فما احد
يغيثه وكان الامير يعمل ان ربطه هذا الرباط ربط الجواد فى الحمار وربط

الجميع فطرق بعض الجيوش من الاحجار وتركها وسار وعطش الرابع فنظر فيه
ديار ولا انيس فدخل الثاني والثالث والرابع والاخير فرأى الرابع وتأمل
في ذلك الموضع فرأى الثلاثين اتباع عثمان بالسيوف وهم يا لسيوف كانوا سيوف
(قال الراوي) وكان السبب ان عثمان قد خرج من عند امه وجمع جيوشه و
كان يحمل همه وسار بهم الى ذلك المكان وقال لهم تكونوا معي وتعاونوني على
ما جاز علي من الزمان وان هذا الولد العاق قد ضربني وبعد عزي اهانني فقالوا
له ها نحن بين يديك ولم نجعل ارواحنا عليك نفرج بفرقهم وارسل رجل
منهم فاحضر له خاروف وذبحوه وطبخوه وسلى النيران طبيوه وقدام عثمان
قد وضعوه فقال لهم عثمان يا جدعان من منكم يكون راس حتى اسلمه الراس
وذلك ان يمضي الى هذا الجندي ويقطع منه الراس ويهدم الاساس ويكون من
هذه الساعة كبير على السياس وكامل الاجناس او ياتي به الى هذا المكان حتى
انتا نشفي قلوبنا منه وندعه ندمان قال فنهض واحد منهم وقال له يا جدعان
اتيك براسه واهدم اساسه ثم انه خرج من باب المغاير ونقل اقدامه
واذا بالامير بيبرس واقف قدامه كانه الاسد اذا فقد شباله او
غلامه وهو قابض على اللمة الدمشقي مثل المحاربين نزار السايبة
على عقبه راجع وهارب فقال له عثمان ما الخبر فقال له يا
من كثرة السهر قد اعترى الضجر فرجعت على الاثر فقال انشوا
اقوم واجيبه واسمه على الاثر فخرج ورجع مثل لحم البقر
يزله واحد يخرج بعد واحد وكلما خرج واحد وعظم يرجع
داخل المغار ويعبر الى ان تكاملوا احدى وعشرين
الاسطا عثمان ورواه بدا الضرر وقال لهم اعلموني ما الخبر فقا
له اعلم ان خصمك الذي انت طالبه فانه على باب المغار قد
وحضر فالحقه قبل ان يهجم على المغار ولا يترك منا ديار ولا نافخ
نار وانتا اذا كنا في الملا ورايتا القلة طلبنا الهربة والفرار
فلما سمع عثمان ذلك الكلام قال لهم انا له ولا مثاله ولا بد
لي ان اعجل ارتحاله ثم نهض عثمان الى خارج ذلك المكان وفي
قلبه شعل النار فنظر بالاعيان واذا به راى الامير بيبرس

واقف كانه الاسد الغضبان فلما راه عثمان قال له انت اتيت الى
هذا المكان فقال بيبرس اعلم انى ورائك اينما تروح ولا ارجع
عنك الا اذا سلبت منك الروح وما بقى لك من يدى خلاص من
ضيق الاقفاص الا على احد وجهين حقيقيه اما تخدمنى بنيه صادقه
مصفيه واما ارمح منك خلق الله بالكليه واسنع عنهم الاذيه فقال له عثمان
هى الخدمه بالدبوس او بالفلوس فقال له الخدمه بالفلوس والعاصى
له الدبوس ولا بد من خدمتك عندى ولو تعلقت فى الهوى والا
قتلتك واعدمتك الحيل والقوى وان لم تستطيع غالك الا الهلاك
دوى ثم هز الدبوس فى يده فارتعب عثمان وزاد رجده وقال
له ابعد عنى هذه الحديده خيب الله صانعها وما يكون اسمها
فقال يا عثمان اسمها اللت الدمشقى فقال عثمان لعن الله الذى دمشقه
ولكن انا اقول لك الحق سبوح قدوس الخدمه ماهى بالدبوس
فامضى ياجدع الى حال سبيلك والا جمعت مشاديدى عليك
واخذتك روحك من بين جنبيك وانبطك بنطم واحده تكون بها
روحك صاعده فقال له بيبرس ان كنت شاطر وتقول انا ابو الصباق
اخرج لى انت وجميع ما معك من الرفاق حتى اوريك مقامك فى
وسيع الاقاق فلما سمع عثمان كلامه خرج فى الحال وصار قدامه
وهجم على الامير بيبرس بقوته واهتمامه وضربه بالرزه على هامه
فتلقى الامير تلك الضربه باللت عن يقين فانكسرت رزة عثمان
نصفين فطار نصفها ووقع بين الحمار والحمار والنصف الاخر
صار فى يد عثمان اليسار فاما النصف الذى طار ووقع بين الحمار
والحمار انزعج منه الحصان وبرطع فى القفار وتبعه الحمار والرجل
مربوط فيه فى اشد الاضرار ولولا انهما مربوطين بالحجر والاكان
عظم الحمار تكسر وانقبر والنصف الذى فى يد عثمان ارماه الى
القيسان وقال عثمان كانت مسوسه لانها قديمه من زمان هذا
والامير هجم على عثمان وضربه ضربه خفيفه باللت على صدره
فالقاه على ظهره وارتفه كتاف وقوى سواعده والاطراف وصاح

يسير من على الرجال وقال لهم يا رجال يا ابطال من فيكم له مخزه
خبرة وهمة فيريد ان يقتل هذا الرجل من يده ويجيبه
من الغير فقالوا له ما لنا به قوة ولا لنا على قتاله قدرة ولا قوة
فقال لهم ما فيكم من يقدر يقول عنه ما تس وانتم ناس فقالوا
له يا سيدي اتركنا من بالك وخذه وامضي في حالك (قال الراوي)
فعند ذلك اخذه بيمينه وسار الى الحمار فرمى به في اسفل الدار الاضرار
وقد اشرف هو وحماره على التلف والبوار لان الرجل كان مستغنيا
من الحمار والحمار ايضا مستأنس من شيل البطيخ ورباطه في الحصان
والاحجار والبطيخ كله قد تكسر وصار تحت الغبار يا سيده ومنار اي
الحمار الا سيد صاح عليه وجعل يقول يا سيدي انا في عرضك انظر
الى حالي وبكفيني الذي جرى فقال له تغرب عن الاوادي والوبال
وتنزل فعل الفراشين والضلال فقال له يا مولاي تبت ورجعت
على ما فعلته وندمت وتبت على يديك من هذه المرة وان عدت
الى هذا الفعل واجبني حينئذ هذا وحياتك فوقف الحمار وقال له
يا شيخ على انت الذي دليت هذا الغشيم على موضعي فقال له نعم
انا الذي اتيت به اليك حتى انزل بكسر راسك ويخرج روحك من بيت
جنبيك والسبب في ذلك انا لا نملك ولد حرام وزنا فقال له عيانك
لا بد لك من قتلك عن قريب واذيقك النكال والتعذيب وكان
الحمار قد ايس من نفسه وايقن بحلول رمسه فقال لحمار ان
انت خلصت من يد هذا الجبار العنيد ابقى افعل بك كل ما تشتهي
وتريد ثم قال الحمار يا شلبي اياك ان تطلقه او من القتل تعتقه فانه
رجل سوذي لئيم وفعله كله ذميم وهذا الرجل قاتل النفوس ونهب
رجل خاين معكوس هذا والحمار يزيد في الاقوال والا سير يضيق
عليه وكلما سكت يغمزه ويسلطه عليه وقد اخرج عشرين
دينارا من الذهب واعطاها للحمار وقال له لا تخف من هذا الرجل
الغدار وانا ضمنت احمالك وعلى ذلك انفع الاجار لك فقال له نعم
يا سيدي انا اخاف ان يقتلني لانه [illegible]

اذنيه فقال له انا اخذك عندى انت وعيالك فى منزلى وتبقى
تابعى من جملة اهلى وعليك به ولا تبالى من فعاله ثم ان عثمان
قال للحمار ما علينا يا شيخ على فقال له والله ما لك الا الموت
دوى وهذا الامير يعد منك الحمل والقوى هذا والامير اركب
عثمان على الحمار وهو بكتافه محتار وركب جواده وسار وما زالوا
كذلك الى ان قربوا من السيده نفيسه رضى الله تعالى عنها فلما
راى عثمان ما حل به من الهوان انخفضت نفسه وقال له يا اشقر
وسق صاحبة هذا المقام ان لم تطلقنى لم اصير ابد الله خدام ارضى
انى ادخل مصر وانا على ذلك الحال بعد العز والدلال ويرونى النسا
والرجال ويضحكوا على اولاد هيصنبه الاندال فقال له واذا كنت
اطلقك تتبعنى وتترك ما فى قلبك ولا تتعرض لهذا الرجل الحمار
ولا تؤذى احدا من الناس الكبار والصغار فقال له عثمان رضيت
بهذا المقال وانى لم اعصى عليك ما دام هذا اللت فى يدك (قال
الراوى) فظن الامير ان كلام عثمان صحيح وما فيه مكر ولا تلويح
فاطلقه حتى انه يستريح فلما خلصت يديه ارتاحت مهجته فاصلح عمامته ثم
مشى على اقدامه خلف الامير فلما راه الحمار وقد ذهبت عنه الاكدار
خاف على نفسه من البوار فقال للامير يا مولاى انا فى عرضك
من هذا الغدار فامره الامير ان ياخذ عياله ويمضى عند الامير
ويقيم فى داره فانصرف الحمار الى ذلك وسكن عند الامير هذا ما كان
من الرجل الحمار واما ما كان من عثمان فانه قد ضاقت حصيرته فنبه
عزيمته وانفرد فى الارض بكليته وصار يجرى والامير خلفه حتى
وصل الى مقام السيده نفيسه المقام وهو فى شدة الجرى والانهزام
وعبر على باب المقصوره ودخل الى تحت الستر واقام واغلقوا الباب
عليه الخدام وقال عثمان يا ام البيت قوى على حيلك انا طول عمرى
خادمك وكل يوم اتى واتمسى مقامك فانى اريد منك انك
تتسلطى هذا الولد الاشقر الذى طمع فى وتجبر ويريد انه
يخدمنى بالدوس ويرمينى فى امر معكوس فان لم تقومى

وتنشطى

وتنبليه ولهجته تقدميه والا احزم راسه ايزورك حتى اني اقتله
واعريه ولو كان فقيرا اخذ عمامته او نعاله ودفيته ومن
عاريضني قتلته واعدمت مهجته وانا طول عمري آكرز وارك
وليش تفوتيني وانا بارك (قال الراوي) ولم يزل عثمان يكلم
السيده نفيسه بمثل هذا الكلام وهو تحت الستر واخل
المقام قال فهذا ما كان من امر عثمان واما ما كان من الامير بيبرس
فانه لما راى عثمان دخل الى مقام السيده نزل عن جواده وسلمه
للخدامين وصار يجري حتى دخل الى عند المقام واراد ان يدخل
المقام فمنعوه الخدام وقالوا له ارجع ياجندي عن العناد فما
لك مهاجمة على الاسياد اما تستحي من التهجم عليها ولا تخشى
على نفسك منها ومن اهلها ولا تراقب جدها اما هي من اهل
بيت النبوة ومن اصحاب المكارم والفتوه اما هي من نسل
الاحسنين اما جدها سيد الكونين فقال الامير يا رجال هاتوا
لي من المقام عثمان وانا اعود على اثري في الحال فقالوا له هذا
مريدها وقد دخل مقامها واستجار بها فما احد يمكنه ان ياخذه
من عندها ولو كان مهما كان من نايب او سلطان قال فلما سمع
الامير بيبرس من الخدام ذلك المقال قال يا رجال اسمعوا مقالي
واجيبوا سؤالي فان هذا الرجل تابعي وخدامي وقد هرب مني
وانا اريد ان اخذه وامضي فقالوا له الخدام وما اسمه ياجندي
فقال لهم وحق صاحب المقام والقبله اسمه عثمان بن الحبسله
فقالوا له اسمع قولنا حتى اجمعين ان هذا الرجل لا يتهدم ابدا
عند احد من العالمين الا عند السيده كريمة الدارين اما تنظر
ياجندي الى هذه الكرامات والا يضاح وانه قد فتح الضبة
بدون مفتاح وكيف دخل الى مقامها وقد اغلق دون الناس
بها وبعد ذلك انت تريد الهجوم وهذا شيء لا يرضاه الحي القيوم
فارجع ياجندي الى حالك فذلك احسن لك واخير لك فان
هذا الرجل تابعها وهي لا تفرط في كل من لاذ بها فان كان ولابد

للذي ترى عندك وبالك في منزلتك اريد فتقدم اليها بما يليق بالملوك والاكابر وتنزل في الفاكهة وابت وابقت فلما رأى ما فيه قال رضيت بذلك فهي تخرجه من عندها وتسلمه للملك فان فعلت ذلك فلك عندي ما يلوم عليك وان لم يكن لها غرض في ذلك فهي تحميه طمعا وعرضا منك ومن كل سوء كان على وجه الارض (قال الراوي) فلما سمع الامير سيبرس ذلك الكلام قال لصهره وابن عمته بكلك الاحكام وقال لصهره الآن اغلق الباب بالمفتاح وخذ المفاتيح فان كان لي قبول عند الست الطهرت لي الايضاح وفتحت لي الباب بين مفتاح وان لم تفعل لي الابواب بفتحها وسلمتها عن الرسالة فقال له الامير رضينا منك بذلك الخطاب ثم انهم اغلقوا الباب واخذوا المفاتيح وتقدم الامير سيبرس الى مقام ساحة الانوار والمصابيح ووقف قبال المقام وبسط يديه ومد الفاتحة ام الكتاب واهدى ثوابها الى روح النبي الاواب صلى الله عليه وسلم ثم الى روح السيدة نفيسة العلم كريمة الدارين وصاحبة الكرم ثم قال لها يا ساحبة القناع الطاهر ويا سلالة النبي الفاخر انت تعلمي ان هذا الرجل قاطع عنك الزوار وهو من مدة ما تنتي وهو يفعل افعال اهل الانكار وقد سمعت عنك انك تحبي اتباعك ولا سيما اذا كانوا طاهرين واهل صدق وصالحين ولا تريدي من يكونوا لخلق الله متعرضين وهذا الرجل قاطع الطريق وحائن الرفيق ولا يخاف من الملك الجليل ولا يوقر صديق ولا خليل وانا مرادي ونيتي انو به عن اكل الحرام وانقذه من هذا الاذى والخصام واعرفه طريق الحلال واعلمه الصلاة والصيام والزكاة والاقبال وها هو الآن قد هرب مني وعبر الى رحابك وصار من داخل اعتابك وتحصن بحصنك داخل ضريحك وتنزل وتحل تحت التابوت واقام داخل المقام وقد قبلته ومن كل الانام احميته ولم اقدر امد يدي اليه الا برضاك واذنك وما افعل شيء الا بامرك فماذا تقولي في ذلك الكلام يا بنت

الامام فان رضيك فانت وما اخذته عنا وان لم يقبلك من اتباعي
وجندي وانزجر عن الظلم والتعدي فاضرب له الباب حتى اكون
انا الآخر واهل الرحاب واقف بعلى بابك من الخدام بالسيوف
من فعال الجهال فان اجابك واستطاع واستوى كان له شرطا
والقوى وان خالف وغوى فما له الا القتل دوى وها انا
جئت اليك ووقفت بين يديك فان سمحت لي به فاقضي لي
الباب واقضي لي ما اعتاز واسعفيني بالاجابة ثم انه بعد ان
ذكر ذلك الا قوال توسل بالنبي المفضال ومسك القضيب وقال
بسم الله الرحمن الرحيم وجرها فانفتحت باذن الله العلي العظيم
قائلة ولما ان راوا الخدام ذلك الحال علموا ان هذا الرجل
عند الست له مقدار ومقال وايقنوا بالهدى وعدم الضلال
وقالوا له يا امير ادخل الآن فلا باس عليك لان الست راضيه
عليك وسلمت خدامك اليك فعند ذلك دخل المقام بالذل
والانكسار وهو يقول دستور يا حامية الزوار وقدم الى
المقام وباسه وقد راى عثمان واضع الستر على راسه وباسك
عدباكر البرزخ بيد يه وهو يقول يا ام البيت انبطيه فضحك بيبرس
عليه ورفع الستر عن راسه وحط يده عليه وقال له قم يا عثمان
ودع عنك المزيان واترك شقشقة اللسان فوحق صاحبة هذا
المقام وهي الست نفيسة العلم صاحبة العطايات والاكرام اذ لم
تتوب يا عثمان وتترك عنك الملام والا اذقتك الحمام هذا وعثمان
يقول للسيده انبطيه ومن المقام اخرجيه وكيف ياخذني من عندك
ويخرجني من مقامك فقال له الامير بيبرس اسمع يا عثمان قولي
واتهم قصدي واعلم بان السيده راضيه بخدمتك عندي
فصاح عثمان يا ام البيت انبطيه والا كانك عشقتيه والبك
قربتيه وعثمان كرهتيه وبغضتيه وانا لم اخدم ابدا ولا اطلع
من هذا المقام على طول المدا ثم اخذ الستر عليه والتف فيه
فاراد الامير ان يرفع الستر كما فعل فراه ثقيل ولم يجد نرفع

السبيل فوقف الامير ولم يتكلم وقطع الكلام وكذلك
عثمان انذهل ونام وكل من الاثنين ادركه المنام فراى الامير
بيبرس الست نفيسة العلم واقفة وهو واقف قدامها وراى
عثمان واقف يخدمها وسمع [illegible] وهي تقول يا بيبرس
سلمت اخدامي وقد تاب الله [illegible] من قبيح اعماله وانا قد سامحتك
في خدمته بشرط انك تقوم له فلابد ان يكون لك صديق معتبر
وانت لا تخالفه بل تطاوع قوله فان له نظر وراى نظر واوثق
عهد الله بينك وبينه على يدى وتكونوا اخوانا على سر ومتقابلين
من قبل ان تخرجوا من عندى وانتم اهل السعادة والتوفيق كما اراد
الله تعالى السلم الرفيق وتكونوا الامير منكما هانئين مستقلين والله
عليكما من الشاهدين (قال الراوى) هذا ما كان من امر الدولتلى
الامير بيبرس واما عثمان فانه راى الست في المنام وهي تقول له
انتبه يا مغرور واترك عنك كل فعل غير مشكور واعلم بان هذا
بيبرس يكون عليك غيور وينقذك من الظلمات الى النور فلا تخالفه
وكن معه صبور وطاوعه في كامل الامور فقال عثمان يا سيدى السمع والطاعة
وها انا بعد اذنك خادمه من هذه الساعة قال ثم ان الست اخذت
يد الامير وبد عثمان واوثقت العهد بين الاثنين وقالت لهما هذا عهد
الله شهد الله الناجي منكم يوم القيامة يا سيدا اخاه رضيتم رضيتم
قالوا رضينا وكل من الاثنين راى ذلك الرؤيا عيانا بيانا ثم ان الست
دعت لهما وقالت لهما الله يوفق بينكما وغابت بعد ذلك عنهما واستيقظا
الاثنان ورفع الامير بيبرس عينيه فراى عثمان واقفا يبكى ودموعه
جارية على خديه فقال له الامير يا اسطا عثمان اما ترضى بخدمتي فقال
له اذا كان على هذا الشرط فانا رضيت وصفقت اليه لانى رايت الست
ام البيت وهي توصيك علي فقال له الامير وانا قبلت الوصية ولكن
هل انت كنت حاضر هذه القضية فقال عثمان اى وحق رب البرية
اما قالت لك زال نحسه واقبل سعده اما قالت لك طاوع امره ولا
تخالفه اما قالت لك به تبلغ رشدك ويرتاح سرك اما قالت لك

هذا

هذا ما سبب انظر اما تعاهدت معي على يديها فقال الامير والله كل هذا
جرا ولكن اين كنت انت يا عثمان فقال عثمان كنت راجف وحطيت يدي
في يدك وانت شايف وتعاوينا فقال الامير صحيح وهذا والله تمام كل امر
مليح فسيبني يا عثمان من الآن وانت في الامان فقال عثمان ورحج صاحبة
هذا المقام ان خدمتك وتوكلت على الله المنعام هذا وقد خرج الامير
بيبرس من المقام ومعه الاسطا عثمان والخدم ينظرون لهم بالاعيان
وما زال سايربه الى المطهره وقال له يا عثمان انزل ادخل بيت الخلا وزيل
الضرر واستنقى واستريا فقال عثمان وما سمع هذا الكلام الذي عمري
ما سمعت به من احد من الانام فقال له الامير بيبرس يعني تدخل هذا
المحل وتتلين فيه فقال عثمان واتلين من ايش فقال له تخش فيه جوان
وتشيخ فيه البول والغائط فقال عثمان وايش يكون البول والغائط
فقال الامير وقد غلب منه يعني تشيخ خرا ومته فقال عثمان انا عمري
ما اخرا الا على الكيمان وما عمري خريت في مكان مثل هذا المكان فقال
له ادخل يا عثمان وزيل الضرر واغسل الطهارة القبل والدبر فقال له
عثمان اغسل طيزي بالماء يا اشقر فقال له نعم فقال عثمان اخيه عليه
وعلى خدمتك فقال بيبرس لاي شيء يا راجل فقال عثمان تامرني بالبصق
روحي وهذه ما هي عادة السياس بل هي عيب عندنا في الكبار وما يغسل
طيزه الا الولد العلق لاجل ان يحبه متاع الصغار وعادتنا ان الرجل
منا اذا جاه الخرا يشخ ويقوم جانب الحيط او على الكوم فقال له الامير
يا عثمان هؤلاء لا يعرفون الافعال بسبب انهم جهال وهم غارقين في بحور
الضلال فطاوعني واسمح قولي كما امرتك السنة وفرضنا فاجابه
عثمان بعد جهد جهيد والله يفعل ما يريد (قال الراوي) وقد نزل
عثمان لقضاء الحاجه كما امره الامير بيبرس ووقف الامير ينتظره حتى
يعلمه الوضوء هذا وقد نزل عثمان الى المراحيض وكان من داخلهم رجال
لاجل قضاء الحاجة قالت واعجب ما في هذه السيرة العجيبة من
الامور المطربة البديعة الغريبه انه كان رجل فقيه من حملة كتاب الله
تعالى وكان يقال له الشيخ عمران وكان عثمان اخذ عامته من عنده شهرين

ويضربه رزنين واقام بطول هذه المدة وهو في منزله مريض وما
نزل الا في ذلك النهار وقد قال في نفسه اقضي الى السنة وازورها
واتوسل الى الله بها لعل الله تعالى ان يعوض علي ما ذهب مني وصح
الامراض يا فيني فاقبل الشيخ عمران ودخل المرحاض الاول يزيل عن
نفسه الضرر وجلس ليقضي حاجته وهو على غاية من الموت والمرض
والحياض فاقبل عثمان ووقف على باب ذلك المرحاض وقال له يا شيخ
خليني ادخل مطرحك وبعد ذلك ابقى ارجع واخر اعلى مهلك قال فعرف
الشيخ عمران صوت عثمان فقام بخربته وخلع عن راسه مقلته وهو
على غاية من الارتياب وخاف لها عثمان من قطع الباب وقال له يا اسطا
انا وعزة ربك لم نزلت الا هذه الساعة لاني كنت مريض من ضربك
فخذ هذه وامضي الى حال سبيلك وانا قلبي داعي لك فقال عثمان يا شيخ
انا بقيت شاب تايب خايب تايب وما بقيت اخطف ولا اسرق كرامة
لام البيت ومناحب اللت المدمشق فقال الشيخ خذ هذه المقلة وتوب
بعد ذلك فان باب التوبة مفتوح لكل من يأتي ويروح فقال عثمان
اطلع يا شيخ انا تايب والبس مقلتك وسير الى اين اردت فقال الشيخ
لا والله القدير لم اطلع من هاهنا ولم اسير ما دمت انت على ذلك الباب
غفير وانا الذي هاهنا مقيم ولو قعدت عاما كاملا فقال عثمان وانا الآخر
وسرها في بحارها الا اشيخ الا هاهنا فقال الشيخ عمران وانا لم اخرج ابدا
ولو اجتمعت اهل الدنيا ثم اذ بلس في صحن المرحاض وجعل ظهره للباب
ورجليه لحوض الماء وتربس الباب بظهره من شدة خوفه وقهره ووقف
عثمان على ذلك المكان والغيظ من داخله وعثمان لم يمضي الى غيره ولا يدخله
هذا وقد غاب عثمان على الامير فنزل يستقبله فراه واقف على باب هذا
المحل فقال له ما الخبر يا عثمان فقال له انا مرادي ادخل الكنيف وهذا
الرجل لم يرضى يخرج منه فقال له سير يا عثمان الى محل آخر فالمحلات
كثيرة جدا فقال عثمان والله لم يمكن ابدا ولم ادخل الا هنا ولو اقمت
سنة فقال سير يس المليح انت يا سيدنا ولا تخف ولا تفزع فقال
له والله يا اخي انا اضلاعي تقطعت من هذه الورزة الثقيلة وكنت

مريضا وما برئت الا في هذه الليلة فكيف اطلع وهو واقف يتطلع فقال له
يا شيخ انا اقبض عليه واكشف ابره حتى تعرف انت الى حال سبيلك فقال
له اذا كان الامر كما ذكرت والمال على ما وصفت فاطلق يدك على الرجل
فانك لا تظلمه الا بعد خروجي بشفعة ساعتي حتى اكون قد قبضت وجبت
من المطلوب واستحقت على روحي من الاذى والتعب قال فخلى له الامير
باذن الله تعالى انه لا يظلم عثمان الا بعد ان يعلم ان بيع الشيخ صحيح ان
قبض على عثمان وضم عليه يديه وادار الرجل الخارج واذا بعثمان نظر اليه ورآه
له شاربيه فخاف الرجل وعاد الى داخل المحل وهرب وعثمان فقال له
الامير لاي شئ رجعت بعد الخروج يا سيد فقال له ان عثمان بلصيص
له شاربين وحواجبه وعينيه واذا ما الى قدرة عليه فقال له الامير يا عثمان
اتق الله تعالى واترك المزيار ثم ان عثمان وثب عليه وقبض عليه وقد خرج
الشيخ ونزل من اسبه وزاد به وسياسه واخذ منه ثمنه بالطول وعلم
بخبره بعثه وفتاله وكيف اسلمه بالشفعة فرجع الى ان دخل منزله ودخل
حماه واعلم اهله وادخل منزله ما حصل له من عثمان وفعاله ثم ان جلس
بالايوان وقال لاغلامه ان لا يخرج من بيته الا بعد ثلاثة ايام (قال الراوي)
هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من عثمان فانه امر الامير بالدخول
وما برح حتى دخل عثمان وقضى حاجته كالرصاد واستقيا وخرج
من باب الرقة وكان الامير رجع بعد دخول عثمان حتى يقضي
حاجته على مهله ويعود بعد ذلك يرجع له هذا وعثمان خرج
بعد قضاء الحاجة وعبر الى المطهرة وقد راى الناس يتوضئون
فجلس بين رجلين وكان احد الرجلين من دراويش الاعجام وكان
عثمان قد اخذ الوجاق من على راسه قبل هذه الايام فلما ان
راى عثمان جلس الى جانبه ارتعدت فرائصه لما ان راى عينين
عثمان وشواربه فلما كان منه الا انه نزل الى وسط المصنع وغطس
فعاد الوجاق على وجه الماء فاخذه عثمان وكان كذلك ربع مدفع
فجعل عثمان يملأ من المصنع ويفرغ في جراة المراحيض هذا
والدرويش كلما ضاق نفسه من الماء يخرج راسه الى فوق

ويصيح امان يا اسطا فيلتفت له شاربيه ويرى قصر له ما جميه
فيعود من شدة خوفه الى الماء وقد كادت روحه تخرج من بيرت
جنبيه وعتمان يملأ الماء ويفرغ في تلك الجره ولا يسأل عن شئ يجره
هذا وقد اقبل الامير بيبرس لانه استيقظ فاقبل الى المطهره فراه كما
ذكرنا فقال له يا عتمان ما هذا فقال له ان الرجل المالوك رجل عيان وانا
اردت ان اساعده حتى اكتسب الاجر من الملك الديان فقال له دع عنك
الهزيان وخذ في اسباب الصيانه والامان ثم انه اخذ عنه التاج واعطاه
لصاحبه واخذ عتمان بيده وجلس واجلسه الى جانبه وقال له الامير
قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عتمان قبل حضور الوكل فقال له الامير
انا مراعي اهلك الموضوء فقال له وايش يكون الوضوء فقال كانك بعمرك
ما صليت فقال عتمان لا وحياتك يا سيدي وانه الصلاه ما احد فعلها
عندي فقال له مثل ما افعل افعل فقال له واقول بسم الله الرحمن الرحيم
على الشويتة المية دي وهي لا تاكل ولا تشرب فقال له يا راجل اسمع
مني واعمل والا انا انتم منك وازعل ثم انه حط يده على اللبن فقال له
عتمان خيب الله الذي وسخه انا اقول فقال قل بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله على هذا الماء الطاهر والحمد لله على دين الايمان والاسلام وتمضمض
ثلاثا واستنشق ثلاثا هكذا وصار الامير يوريه وهو يفعل كفعله
ويقول يعمله كيفيه الوضوء حتى انه احسنه بعد جهد وشده وامور
متزايده ثم اخذه بعده ذلك ودخل به وقال له قل اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فقال عتمان كما قال ثم قال له ادخل واستقبل
القبله وصلى فقال له اسمع مني انا لم اعرف في ذلك شئ وما كنت اصلي
الا كل يوم مره واحده على النبي والسلام فقال له من لم يصلي يا عتمان
يبقى ملعون ابن ملعون وانت الآن ملعون حتى تتوب وتصلي فرض من
لا تزال الهيوف فقال عتمان ما ملعون الا انت لان معك مدسنج نملك
به خلق الله وانا وسرها في غيابها اكثر خوفي ما هو الا منه ولولاه ما كنت
تمرضيت ولا صليت فقال الامير ادخل بنا نصلي فقال عتمان على مهلي وانا
اطارعلك فقال له الامير هل تحفظ الفاتحه قال عتمان احفظ منها

قطعتين فقال له اذكرهم لي حتى اسمعهم واعلمهم فقال عثمان الشيطان
الرجيم ولا الضالين امين فقال له الامير اعلم ان الفاتحه سبع آيات
وفيها حروف وشدات فاذا فقدت واحده من شداتها ابطلت صلاة
من تركها فقال عثمان انا اشدها عشرين شده بعد املك بس انت علمها
لي وانظر فعالي فقال له هذا شيء يذكر باللسان ولا يقبض باليد انت
فاسمع مني واحفظ ما اقول ثم جعل يقرء الفاتحه حتى انه حفظها
ثم عليه ايضا الصحيفه حتى اتقنها وقال له قم الآن حتى نصلي وافعل
كفعلي فقام الامير استقبل القبله وقال لعثمان اقف مثلي وقول نويت
اصلي ركعتين لله الله اكبر فقال عثمان الله اكبر عليك وعلى حديدتك
المكبه وعلى الذي دمشيها وانتي كنت غني عنها وانتي والله ما شفتك
في يوم طيب خلتك كرهتني عيشتي ونغصت معيشتي فقال له يا عثمان
الزم الادب فوالله لولا الست اوصتني عليك كنت قلعت راسك
بهذا اللت انت تكره ان تخرج من الضلال الى الهدى ومن الحرام الى الحلال
ومن الظلمات الى الانوار ومن النار الى الجنه وانا ما يهون علي انك تبقى
اعمى وتعصي الله تعالى فقال عثمان ان هذا الكلام الذي تقوله لي على
لساني ثقيل فقال له الآن عودنا الى مقام سيدتنا ونطلب من الله
تعالى ان يخفف لسانك بسببها ثم انهما عادا الى المقام وقرءا الفاتحه على
البرنيخ وطلب الامير بيبرس من الله الفهم لعثمان واسمع عثمان على
دعاه ورجعوا الى المحراب يريدون الصلاه فنوى الامير ونوى
عثمان خلفه كان حافظ الصلاه من مائة سنه وذلك من بركات الست
السيده نفيسة العلم ثم بعد ان تهيأ الفراغ من الصلاه امر بيبرس
نقيب النقبا ان ياخذ عثمان ويتوب عن جميع المعاصي فاجابه النقيب
والله شاهد ورقيب فقال عثمان اني تبت الى الله عن جميع المعاصي
والتعويق الا بيت الدقيق فقال عنه غنا فقال بيبرس ونحن ايضا
عنه لم نستغني فان كل الماكول منه وما من مخلوق قط يستغني عنه
لانه قوت الركبتين وقد خلقه الله قوتا للعالمين يا سادة وقد ظن
الامير ان بيت الدقيق يعني الخبز واما عثمان كان قصيره على البوظه

والخبر وبيعين ما يعلم ذلك اليوم فاذا الامير اخرج كيسا فيه الف
دينار وفرق على الخدام والحشم وحمد الله فقال الثالث الذي
الذي اعطى له عثمان ثم ان الامير استدعى الشيخ نبهان والبحر واعطى
كل واحد منهما عشرين دينارا وقال لهما سامحتكما فرجعت الرجال
بذلك الشان وقبلوا الشفاعة وداروا وراء السنة فوجدوا خرج الامير
وخرج ايضا عثمان قدامه وهو اول ياخر ولا ياخذه كبر ولا كدر وقدم
له الحصان ودكبه وقد تهيأ للامير امر ملك الدنيا عافيا وصار الامير
وعثمان قدامه وهو نبهان وقد قال عثمان تمضي الى مكان فقال له
يا اخويا الى بيت امك عز بالعيال ففرح عثمان بذلك الشان وصار قدام
الحصان الذي ذات من وسط الرميلة ونظروه اتباعه وعساكره فكان
كل من راه منهم ينحني بوس ايده ويقول له عثمان سير قدامي فجرى
قدامه وكذلك الآخر ولم يزل كل من كان من عساكره يجري قدامه
بعربان يبوس ايده فاوصل الى المراغة والقبر الذي لاحق صار قدام
الامير شوي من ما يكون رجل خير فقال الامير يا عثمان ايش هؤلاء فقال
له كلهم ولاد عمك فقال له انا لا اشتهر احد اغيرك وانت تكذبه وحدك
واما اذا اردت انت ان تاخذهم عندك شوي فلا امسك ولكن بيدك تقعد
عندي سبعة ايام من غير تقصير ولا ايام فقال الامير عثمان يا جدعان الزموا
الصيوان ولا يخرج منكم احد الى ان اجي اللبكم الى مكاني ومن تاخر
حكم انبطحه وانبذ به واسوق فقال الرجال سمعا وطاعة ثم عاد الى الصيوان
من قلة الاكرام عندما رجعوا سايرين الى ان دخلوا مدينة غزير فقال عثمان
وهو الذي دلالة على مكانه وشرفه لمن يبيع فقال له مالي الاذان
الحلوة فقال عثمان انا اجعل سروج واقف مكانك حتى اني اسير اليه واقتله
وتاخذ مالنا بيعة كل من دل احدا على بيعة لابد له من قتله فقال له اياك
ان تفعل ذلك الفعل انت بيننا تنقض العهد والميثاق وتفعل فعال
الخساسة افعل الشرك والنفاق فقال له انا مالي فقال انت حلفت قبل
الغروب والآن تنسى من الحماسة والنكده فقال عثمان والله حلفت بيمين
اخر وهو الذي لما دخل بيتي الاول واساقه في يده فقال له الآخر وانا بيمين

سلفته كذلك فقال له بيبرس انا اضربك بالسيف وانت تقبض راسي بيدك
اليمين وتدخل البيت بعد ذلك وتضربني بالسيف فقال بيبرس
ولما تقطع روس بعضنا وتذهب بالروس الى [illegible]
نمزح فقال عثمان ليكن نضرب بالسيف فقال بيبرس
غير قطع روس وهوانى اقبض على شعر راسك وتمر بالسيف بيدك وانت
كذلك ثم تجذبني تارة واجذبك تارة اخرى حتى ندخل من باب الدار وانا
اضرب باب الدار براسك وانت تضرب براسي وندخل مع بعضنا متشابكين
مثل الاخصام وقد انفك اليمين والسلام فقال فلما سمع عثمان ذلك من
الامير قال له وايش عليك هذه الامور واخذها وانت شاب صغير غريب
من هذه الديار وعربها ولكن والله كلامك مثل جنبة الامير بات
كلما ناحت خرعسلها (قال الراوي) هذا وقد فعلوا الاشيء كما ذكرنا
وقبضوا شعور بعضهم وضربوا الباب برؤسهم فنزلت عزيزة الجيله
وفتحت الباب وتلقت الامير لقا الاحباب وضمته الى صدرها قبل ان
تضم ولدها ثم انها بعد ان قبلته اقبلت الى ولدها واعتنقته وهي
تقول يا ولدي لا تكون مسرور مع هذا الغرور فقد انتقلت من الظلمات
الى النور فقال عثمان يا حبله كانك فرحتي لما رايتي ولدك بقي شيخا يب
تايب نايب وبعد عزي صرت خدام وبعد ما كنت ابو عياق مصر بقيت
غلام وهذا كله يا مر الست المبرجعه بالانوار وانى تخاويت معه على
المجام والمزار فقالت عزيزة له من نهار ما ابركه من نهار ثم انها احضرت
لهم الشرابات فشربوا ولذوا وطربوا وجلست بعد ذلك تحدث مع
الامير وتسليه حتى اخذوا الراحه واقبل الطعام فاكلوا ولذوا وطربوا
وعزيزة مع كل ذلك تميز الامير بيبرس وتميز خلقته وتتعجب من قدرة
الله تعالى وصناعته وذلك ان ولدها غلب اهل مصر وغيرها وهذا
الغلام قد غلبه وابهره بشجاعته وقد قيده بخدمته فصار عنده
باسماده ولما ان استوى الوقت وفرغ ما بينهم من الكلام قال عثمان للامير
يا جندي امضي انت الآن الى بيت الجند قداري وانا الحقك اذا قضيت
اشغالي فقال بيبرس وما هي اشغالك اعلمني بحقيقة حالك فقال له

اريد ان اجمع مشاهدي واعلمهم بتوبتي واطلعهم على خبري واطيبهم كما كان
عندي في المدينة لاجل يصرفوه الكبار والصغار واقول لهم كلوا من هذا
حتى يفرغ فاذا فرغ ادفع لهم كما قدرت عليه الزمان اطلع من عندك لا ارجع
الى ما كنت عليه واشفع عليهم لاجل ابي وامي واخي واولادي وانهم ثمانين
جميع ما منهم الا كل بطل مصارع وما يبقى اقول لهم ان خطفتم شيئ
او سرقتموه فمن اكم وما احد ايطلع منكم ولا يعلمنا شاركم فيه لانه
ثبت عند الشاه بقيمة شيئ وليس عليه ان خطفوا على قدرها كم
ولا تقدروا احد ايشعر بكم ومن يعمل ما امرتهم به يكون السلام واقف
عندنا بين يديه (قال الراوي) فلما سمع الامير بيرس ذلك
الكلام ابدا بالضحك والابتسام وقال له اعلم ياعثمان ان من تاب تاب
الله عليه واستقامت توبته عليه ورجعت الى الحقيقة وما بقى لنقض
التوبة سبيل ولا طريقه واما مشاهدك الذي ذكرتهم فالرأي عندي
انك تتركهم فان تابوا ورجعوا عن المحال واتبعوا طريق الحق والكمال احكمهم
معك الى مكاني يخدموك ويخدموني وان تركتهم يسرقوا ويخطفوا فيكون
هذا حرام عليك ويكون توبتك باطله لانك امرتهم وعلمتهم
وكنت رئيسهم باعمال الشر وما كل محال انك تابوا يتركوا عملهم ويرجعوا
على ما كانوا عليه ويرجعوا لاعمالهم الاولى فما عندي غير
ان تزوجه وحدك ويكون هذا حاصل ما يرجع الى سلامتك انك لم تكن
تطلبهم الا من الحرام وانت تعلم ان مال الحرام ما له كاتوا مصمصة
وعدم البركة فيكون ذلك فايز الا سمعت كلامي وعملت بما اقوله لك
والا اختار فقال عثمان ايش هذا الكلام وما اعمل شيئ من ذلك
نسيبه وحشمه من الخيل يعيروا بنا من اهل مصر ما يحصل لنا
عندك الا كل خير وبركات (قال الراوي) فلما سمع منه ذلك
بقى يخدمه في ذلك وقال له انت في كل ما تقوله لك عليه والسلام
فقال عثمان سمعا وطاعة فقال له الآن وسر الى بيتك ولا تاتي الا بهم
والذي يخالف ذلك اخبرني به فانا اتوب واعاهدك واعتذر فقال له
عثمان ما احد امتهم يخالف قولي فقال سير على بركة الله تعالى (قال

الراوي

الرابع) وقد ركب بعد ذلك الامير بيبرس وهو وحاجب الحجاب
الى ان وصل الى منزل نجم الدين البندقداري قال وكان دخوله آخر النهار
وكان الوزير نجم الدين قد اتى من الديوان فتقدم اليه الامير بيبرس
وقبل يده فقال له الوزير يا نور العينين هذه الغيبه كانت فين فقال له
يا ابوي كنت ادور على راجل سايس وكان عفريت اخبر الوزير عن عثمان
واحواله وما هو عليه من افعاله واعماله فخاف الوزير نجم الدين منه
وخشي ان الامير عنده يخدمه ولما سأله الوزير عن غيبته وقال له على
قصته قال يا ولدي السياس عندنا كثير غير قليل وانت السيف الطويل
وكل ما تطلبه يحضر اليك وما منهم الا من يسمع قولك ويراعيك وقد
بلغني من عفريت انك خدمت عثمان بن الحبله واوقعتا في هذه النكبه
والخسله فقال له الامير ولاي شئ ما يخدمني عثمان بن الحبله فقال
له اعلم يا ولدي انه رجل جبار وبطل مغوار فقال له يا روح خالتي
البشر لك بكل ما تيسر لك فانزاح عن كل ما يغضبه الله الملك العلام ورجع
من امير الامام وقدم مارلى سايس ولا بقى يصطبح شيخا من السايس
وكانت توبته في مقام الست سعسعة العلم وتاب ورجع عن الظلم
وخاويته على المقام واما منى في الكلام وان كان خالفني كنت قطعت راسه
بحد الحسام وكنت افعل بوكما فعلت بكبيره المرند في ارض الشام واني
انتهيت كل النهايب فكيف ان يكون في مصر دول واكاسره امراء ووزرا
نفايس ويخافون باس رجل حقير سايس فقال له الوزير نجم الدين
والآن خدمت عثمان بن الحبله عندك دون الانام فقال له وقد انتهى
امره ولا بقى كلام فقال له الوزير نجم الدين يا ولدي الله ينصرك على
اعاديك ويبلغك امانيك واعالك فشكره الامير بيبرس على كلامه
وقعد وايتخدموا هذا وقد تقدم لهم الطعام فاكلوا على قدر كفايتهم
واتاهم المشروبات فشربوا ولذوا وطربوا وما زالوا في مناداته وحظ وهنا
الى ان جن الليل واقبل المساء وطلبت الامين حظها من المنام واراد
كل واحد منهم ان يريح نفسه بالمنام هذا وقد بات الوزير وهو يتعجب
من الامير وكيف انه خدم هذا البطل الخبير وان هذا شئ لم يخطر لاحد

على بال ولا سمع احد بمثل ذلك المقال (قال الراوى) فهذا
ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من عتاق فانه بعد ان ترك الاسير
فى بيت عزيز سار طالب مغاير الزنطيه وقد اجتمع بجميع اولاده
ومشايخه وقال لهم مرادى انكم تجتمعون حتى اعلمكم ما تفعلون
فاجتمعوا اليه واقبلوا عليه فقال لهم ياجدعان اعلموا ان الدنيا
هذه فانيه والدار الاخره هى الباقيه ونحن اقمنا بطول الاعمار والازمان
ما ناكل ولا نشرب الا حرام وذلك الفعل عين الفساد ولا يرضى به
احد من العباد وانا كنا غرقانين بحر الضلاله والفساد واليها لله
والى محمد ونحن غارقين فى امورنا محتارين اما آن اوان اعمارنا ان
تفرغ وكل طاغى لابد له من مصرع وانتى يا اخرانى لما اخذتى هذا
الجندى وانتم كلكم تقرون ما فى فيى وما عندى وتشهدون على انا
عليه من الشجاعه والقوه والبراعه وانى كنت عزمت على قتله وتجهيل
مرحلته وانى والله قد وجدت روحى لم اكن نقطه فى تياره ولا اشاره
من ناره وقد اصدان ربى اليه حتى تبت على يديه وقد علمنى الوضوء
والصلاه وخدمت عنده واقمت حداه وبقيت شيبه خايب تايب
تايب عايب ولم يبق لاحد عندى شر وتوكلت على رب البشر وخدمت
عنده هذا الاشقر ولما خدمت عنده ذكرت له مشاديدى واولادى
فقال لى مرحبا بك وبهم ولكن اخبرنى باسمائهم فذكرتكم اليه فكتبكم فى
ورقه وقال لى اذا رضيوا بالتوبه ورجعوا عن المعصيه فأتنى بهم جميعا
حتى ارتب لهم المعاشيه واجعل لهم جرايات ومصروف واعاملهم لاجل خاطرك
بالمعروف والاحسان على انفسهم من كل متلوف وان الذى لم يتوب لابد لك
ان اقطع راسه واخيد انفاسه واذيقه كاس الحمام كما فعلت بالعربد
فى الشام فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له سيرانت الى الديار وانا
المتكفل بالجدعان على الاثار وها انا قد جئتكم وبالقصه اعلمتكم فانظروا
ماذا يكون جوابكم فان اردتم ان تاكلوا الحوم الضان والدجاجات المخامى
السمان والفطير العال والسمان فبادروا بالتوبه ياجدعان وتكونوا معى
فى خدمة هذا الجندى الاشقر الانفر الابيض الاحمر الذى يجب ان يستجيب

يوسف بن ماشطة الملك المستولي الله مغيث الذي وحشته وصاحب
السفينة الذي احمله المتاع فقال له اليهودان افعل ما تريد فنحن
عبيدك لا نخالفك وانا نريد ان نبيع من الصيد فقال عثمان رضيت بالتوبة
قالوا رضينا فقال لهم اجيبوا الى مقام الست صاحبة الانوار حتى نعقد
التوبة في ذلك النهار فاجابوه الى ذلك وساروا بالجميع الى ذلك المقام الرفيع
واحضر النقيب واعطاه دينار وقال له توب هؤلاء الكبار منهم والصغار
فاجابه بالسمع والطاعة وحمل يتوب واحد واحد من الجماعة فاول ما توب
توبة عثمان ابن وفان النقيب قبل كل شيء ادخل الى الخلاء واستنجا واستبرا
فقال عثمان ابن وفان ما كنت فصيحا هيا بنا حتى ما نعلم الكيفية فساروا جميعا
وازالوا النجاسات وغسلوا الايدي والوجهات وعادوا الى المقام وكانت
بعضهم يعرف الصلاة وبعضهم يعرف الوضوء فصاروا يعلمون بعضهم
البعض وعثمان والنقيب واقفين ينظرون اليهم حتى اتموا وتقدموا
الى المحراب فكان عثمان اماما للجميع وقد كشف الله حجاب الغفلة عن قلوبهم
وبعد ان صلوا نظروا مقام الست وتباوروا في مضمرتها واعطاهم عثمان
كل واحد حبوبة تمر وقال لهم اذا كنتم غايبين وجاءكم احتاج الى
اكل او شرب فلا يمتنع من هذا ولا يتبرح باحد غيره فدعوا له وشكروه
على فعاله وكان الاخير قد اعطاه قرطاس فيه مائة دينار عند خروجه
من عنده فخرجوا وقد خرج بهم عثمان من السيدة وقال لهم امضوا
وعاد الى بهم سايرين الى ان عبروا الى دكان رجل فخراني وقال لهم كل واحد منكم
ياخذ له ابريق فاخذوا واحد وثانين ابريق واعطى عثمان الفخراني
دينار وسار بهم الى رجل صبال فاخذ لكل واحد حبل وامرهم ان كل واحد
منكم يربط ابريقه تحت باطه ففعلوا ذلك واقبل بهم الى سبيل وامرهم
ان يملؤهم ففعلوا ذلك ثم قال لهم عثمان كل من اراد منكم ان يتوضا فليكرن
ابريقه حاضر تحت باطه ان عطش شربه وان استنجى يده من حنفية
يفصل يديه من ذلك الابريق هذا وقت الظهر فصلى بهم الى
الجامع وصلى بهم الظهر ولما فرغوا من الصلاة قال لهم عثمان انا
انا فدخدست وتوكلت على الله وما بقيت اطعم لاحد في الدنيا ولا منه

كان احد اسلم في ضميره شيء يعلمني به من قبل ان امضي الى الاسقف
واعلمه بالحال فقالوا له ها نحن لك وبين يديك وما فينا من خلاف لك
فقال لهم عثمان يا جدعان هذا رجل جبار وقد صار الآن اعانك وشاقيم
ويحكم على كل من قال شيئا في الكنيسة وانه صاحب هيبة ووقار وشجاعة
واظهار وما هو رجل مثلنا نحن وان مسكنه منزله بحي الدين المقدم ذكره
ثم انهم سارو امعه الى الكنيسة وقصدوا الدار التي باسم الامير مسعود
فاول ما راى الناس عثمان قادما ومشاديه خلفه كالهيام والابار يق معهم
معلقه واسلحتهم مسحوبة قالوا ان عثمان قد ملأ هؤلاء الابار يق لمشاديه
من الخير العميق وذلك لانهم لا يعطون انه تائب ورجع الى ربه الوهاب
هذا وقد دخل بهم عثمان الى بيت بحي الدين وهم خلفه اجمعين (قال الراوي)
وكان الامير بيبرس في ذلك الوقت جالسا في المقعد وقد نظر عثمان
بالرجال وقد اقبل وكل واحد منهم كالاسد وهم بين ابيض واسمر
وقمحي وابتر فلما راهم الامير بيبرس قال ما شاء الله ما هذه الاعطية
عظيمة من الاله ثم نظر الى الابار يق فتعجب ولم يعلم ما السبب فقال
يا عثمان هؤلاء مشاديك قال نعم ثم اشار اليهم ان قبلوا يدي الجندي
ياجدعان ففعلوا ما امرهم به عثمان فقال يا عثمان من اي جهة ملأت
الابار يق فقال من الصعيد ثم قال له ولأي شيء فقال لاجل الصلاة
فقال الامير هذا مكروه في الوضوء لانه موقوف على الشرب وما هو للصلاة
فقال عثمان واذا رجعت الصلاة يتوضوا هؤلاء من اي الجهات فقال
بيبرس يتوضوا من الحنفيات التي في داخل الدار او من اي مسجد من مساجد
الله تعالى الواحد القهار ففرغوا الابار يق في زير البواب واتركوا الابار يق
في الاسطبل لقضاء الحاجه يا احباب فقالوا له سمعا وطاعة ثم قال لهم
الامير اعلموا يا رجال اني انا رجل حلو قوي ومر قوي وثقيل وخفيف
ولين ومستوي فان كنتم حلوين فانا احلا منكم وان كنتم مرين فانا امر
منكم وان كنتم خفافا او ثقالا او ليينين او مستويين فانا مثلكم او ازيد
عنكم وانني لم احب اذية احد من خلق الله تعالى فكونوا مثلي اجمعين
ولا تظلموا احدا من العالمين وعليكم بالعدل والانصاف وافعلوا ما امر

فيه جد الاشراف فقالوا له نحن جميعا لقولك سامعين ومن هذه
الساعة لك تابعين فلما سمع قولهم وعلم بتوبتهم وبطاهرا خرج
الذهب اليهم واعطا كل واحد خمسين شريفي منهم وقال لهم هذا برسم
المصروف لكم واذا فرغوا اعلموني وانا اعطيكم غيرهم وان منعكم لشيا مني
فاعلموا كبيركم حتى يخبرني وياخذ لكم ما تحتاجون اليه مني ولكن اذا
بلغني انه احد امنكم ظلم رجلا من الناس الفقرا لابد لي ان اقتص منه
على قدر ما اراى ولا تظنون ان كبيركم يحميكم مني فلو قدر ان يحمي
نفسه ما كان خدمني فقالوا له سمعنا واطعنا وبما تقوله رضينا
ثم قبلوا الأتك ونزلوا وقد فرحوا بذلك المال وقالوا لبعضهم نحن
طول عمرنا نخطف عمايم ونسرق اشيا كتار فما حصل لنا في طول
عمرنا خمسين دينار وهذا شئ رزقنا الله به في الحلال فلعن الله
الحرام وفعال الاندال ثم دخلوا بعد ذلك الى الاصطبل فتلقاهم
عقيرب بالترحيب وقربهم غاية التقريب فقال عثمان وهل انت تايب
مثلنا او عاصي علينا فقال له يا كبيري انا واحد منكم ولا احود عنكم
فعالكم فقال عثمان مرحبا بك هيا يا جدعان اصلحوا الناشان اصطبلكم
وهل اقامتكم وعليكم بالكنس والريش والنظافة حتى يكون الاصطبل
في غاية الظرافة وافرشوا الى محل الجلوسي واوضعوا فيه سريري ففعلوا
ذلك واجلسوه ووقفوا بين يديه اجمعين وكانت عدتهم مائة وستين
الثمانين الذين لعقيرب والثمانين الذي لعثمان والمتكلم على الجميع
عثمان لانه ابو الصياق واذا كان حصان عاصي ان كان يعض او يرفص
او يعصي عن الدخول تحت السرج اذا حضره عثمان ابن الحبله وصاح
عليه ابطله العض والرفص والعصيان هذا وقد جلس عثمان الى
وقت العصر فقال عثمان يا عقيرب اعمل مبلغ وانا اعمل امام وذلك
بعد ان تجاروا على المنفيات وتوضوا وصوا كاملا وصفهم عثمان
اربع صفوف كل صف اربعين وتقدم هو قدام وخلا عقيرب خلفه
هذا وبيبرس قد نزل في مماليكه ليتفرجوا على صلاة السياس فقال
عثمان نويت اصلي فرض العصر اماما بالسياس الله اكبر فقال الجميع

لو نويت اصلي العصر اماما بعثمان الله اكبر ثم قرا عثمان نصف الفاتحة
وقال يا جند عثمان خلوا اكتافكم بعضكم سوير فقالوا له حاضر
يا اسطا ثم رجع يكمل القراءة فقال له الامير يا عثمان بطلت صلاة ثلث
فقال عثمان ولاى شئ فقال له ان الكلام يبطلها وان الصلاة لها اركان
معدودة وهم ثلوث عشر ركنا محدودة ولها خمس طمانينات اذا بطل من
هؤلاء شيئا ابطل الصلاة كلها فقال عثمان يبقى الكلام حرم قال له
نعم اذا كنت في الصلاة فانوى يا عثمان مرة اخرى ولا تحدث شيئا
فنوى وعمله ايضا النيه ونوت السياس وقرا عثمان الفاتحة وركع
وطل براسه بين رجليه وقال يا سقيرب خلى رجليك الى جنب رجلين
رفيقك وقام قاسته واراد ان يسجد هوز رقبته فقال الامير وهذه
الكلمه ايضا ابطلت الصلاة وكان الاحسن ان تقول بدل الكلام فقال
عثمان وايش ابطلها هذه المره فقال له ابطلها كلامك لان الكلام يبطل
الصلاة فقال عثمان انا تكلمت من تحت او من فوق فقال له الامير والله
يا عثمان ان كل شئ اسامحك فيه الا الصلاة وانا اقسم بالله العظيم ان لم
تصلي انت ورفقاك وانتم ساكتين وللصلاة ممتثلين والا عذبتكم العذاب
الهين فامتثل عثمان لقاله وكلامه وصلى العصر بتمامه ثم عاد الى مكانه
واخذ السبحة في يده وجلس والسياس عنده وقد يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا
محمد عدد الخيول الدهم اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد
الخيول الكهل اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الخيول الشقر
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ما تحركت اذناب الخيل
الواقفات اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الركابات
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد ضربات السيوف القاطعات
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد اللجامات وصل وسلم
وبارك على سيدنا محمد عدد الشكالات وصل وسلم وبارك على
سيدنا محمد عدد الخيول الحجيلات اللهم صل وسلم وبارك
على سيدنا محمد عدد الاوتاد المدقوقات والمركزنات اللهم

صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الاحيال المربوطات والمفكوكات
والمفتولات اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد السياس
والجدعان المفتولات اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد
الانكاديش الذكور والاناث اللهم صل على سيدنا محمد عدد السياس
البطالين وصل على سيدنا محمد عدد الجدعان الشقالين وصل على
سيدنا محمد عدد الجدعان المظبوطين وصل وسلم على سيدنا
محمد عدد الاولاد المحلوين وصل على سيدنا محمد عدد جميع الخيول
والبغال والحمير والجمال والنساء والاطفال والبنات والرجال
وصل وسلم على سيدنا محمد عدد الميتين وصل وسلم على سيدنا
محمد عدد الطيبين آمين آمين آمين (قال الراوي) فلما سمع الامير
بيبرس ذلك الصلوات ضحك من قول عثمان وضحكت ايضا المماليك
الكتابيه والغلمان الوشاقيه وقالوا يا ولتلي ان هذا عثمان يتكلم
في الصلوات بمثل ذلك الكلام نقال لهم الامير يصح له ان يقول له
مهما قال في مثل ذلك لان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
مقبولة غير مردودة هذا وقد تركه بيبرس وطلع الى اعلا المقعد
وصلى خلف الامام الذي للوزير نجم الدين وصلت معه المماليك
الكتابيه وكامل الرجال الوشاقيه الذين كانوا عنده في ذلك
الوقت حاضرين لانهم كانت عادتهم في غالب الاوقات
يمرون عليه ويأخذون منه الشور ويستفيدون منه
المشورة الذي يطلبوه من سائر الامور هذا ولما ان فرغ
من صلاته جلس وقرأ ورده ثم امر باحضار الطباخ فلما
حضر بين يديه قال له مرادي انك توسع المطبخ بقنطار لحم
عجال ونصف قنطار ضاني وذلك يكون يومي وتجعل لي
مطبخ مخصوص برسمي ويكون على اسمي لاجل ان يكفي عيلتي
ورجالي وكلما تحتاج اليه انا اعطيه لك من مالي ولا تسأل
فيه احد غيري ومن ذلك الوقت يكون طعامي انا وخدامي
من مطبخي ولا بد ان تحضر معك من الغلمان والصبيان يعينه

الطباخين الشطار لاجل ان يعاونوك لانك مشتغل ايضا
بمطبخ الوزير واذا كانوا معك جميعين وانت وحدك يكون العمل عليك
كثير فقال له يا مولاى اعلم ان سيدى الوزير نجم الدين اوصانى
عليك وقال لى كلما يطلبه اعطيه اليه ولا تقصر فيه ولا
تقدم لى الطعام الا من بعد ان تكفيه لانه عندى اعز من ولدى
فقال له الامير بيبرس جزاه الله كل الخير فما انا الا من غرس
نعمته ولكن افعل كلما قلت لك عليه ورتب لى ما دليتك عليه
فقال له الطباخ على الراس والعين فالله تعالى يعلى قدرك
ويديم ذكرك ويرقيك اعلا المراتب ويجعلك على اعدائك غالب
وانت صاحب العطايا والمواهب فشكره الامير على ما قال له
واعطاه مائة دينار وقال له خذ هذا على سبيل العطيه واما
الترتيب جميعه فسايرعلى فاجابه بالسمع والطاعه وقبل
الارض ونزل من عنده من تلك الساعه وجعل يوضب حاجاته
الى آخر النهار هذا وقد حضر الوزير من الديوان فتلقاه الامير
بيبرس والاسطا عثمان وقبل بيبرس يده وسلم عليه وجلس
الى جانبه وقد حضر العشا فاكل الامير بصحبته ثم بعد ذلك
نزلت السفره الى الخدامين والى عفريت سايس الوزير وكان
عثمان قد اشترى خاروفا وسواه وجاب خبزا من السوق
لاجل عشاه هو ومن معه من رفقاه وسقا المناسف لرجالته
وباتوا تلك الليله فى اهنا عيش ولذه الى ان اصبح الله تعالى
بالصباح فصلى الامير صلاة الافتتاح واكل ما راح من الطعام
ونزلت الاطعمه والمآكل الفاخرات الى عند الاسطا عثمان
وسائر السياس والجدعان فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا
وانشرحت صدورهم وعرفوا ان الامير قد اوصى عليهم هذا
وقد صاح الامير وقال يا عثمان قال عثمان ايش ونهض اليه
وحضر بين يديه وصبح عليه وكذلك السياس خلفه يسمعون
ما يقوله له فقال الامير يا عثمان مرادى اتسلا قال عثمان

الى

الى اى الحمامة قال الامير قصدى ان امضى الى دكان ابو يا الشيخ
يحيى الشماع وولده كريم الدين قال عثمان وهل انت تعرفه قال نعم
يا عثمان ابوه قد صار ابو يا ولكن يا عثمان وانت الآخر تعرفه قال
عثمان نعم اعرفه من زمان فاتة لانى كنت اخذت عمامته ثلوث مرات فقال
بيبرس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما احد اسلم من اذاك
ابدا يا عثمان ولكن وحياة راسى ونعمة الاسلام ان تعرضت له
لاذيقنك كاس الحمام (قال الراوى) وخرج الامير بعد ذلك من
الدار وعثمان خلفه كانه الاسد الهصار وقد كفى بر نسه على راسه خوفا
لايعرفه احدا من جلاسه واقبل الامير الى دكان الشيخ يحيى الشماع فنهضت
اليه اولاد الحسينيه وحيوه باحسن تحيه وقالوا له والله انك من
يوم خدمت عند السلطان وعملت اغاة الوشاقيه وانت مشغول
عنا بالكليه فقال لهم لا والله يا اخوان انا كنت مشغول فى حاجه وكانت
عن بعيده فقضاها لى ربى بمدد السيده نفيسه لانها هى التى
بلغتنى قصدى ومرادى وارينى وقد اخذ بيدى ربى ثم انه جلس الى
جانب الشيخ يحيى فقال له يا والدى الآن بقى لك غايب عنا ثلوثة ايام
وانت حارمنا من انسك فالله يا خذ بيدك فاين كانت غيبتك فقال
له يا ابو يا كنت مشغول لاجل واحد سايس حتى جبته وعندى خدمته فادى
له بالتوفيق لانه رجل موافق ونعم الرفيق فقال له الله تعالى بيديه ويعينه
ويشفيه ولكن ما اسمه فقال له الامير وحق الكعبة الغرا والقبله اسمه
عثمان بن الحبله قال فلما سمع الشيخ يحيى ذلك الكلام والاوزان خلع
عمامته من على راسه والقاها داخل الدكان ونزلت به الرعشه والاهانه
وجلس وراسه عريانه فقال له الامير وقد تعجب ما هذا الفعال التى كلها
عجب ولاى شئ خلعت عن راسك عمامتك وقد تغيرت صورتك فقال
له والله يا ولدى ما بقى عندى غيرها وهذا الذى لم اقدر اذكر اسمه اخذ
منى ثلاث عمايم قبلها واذا لقانى بها اخذها منى وتركنى بحسرتها فقال له
الامير وقد تبسم يا ابو يا لا تخف ولا تندم وهذا شئ لم يكون ابدا وانت
والدى على طول المدا وكيف انه ياخذ عمامتك وانا سيده وجالس عندك

وفي صحبتك واهنيك ان الرجل قد تاب ورجع عن كل شئ معايب وتوبته
كانت عند السيده ام الانوار حامية الزوار من الاخطار فالبس عمامتك
وهدئ روعك ولا يخطر عليك هذا الكلام ولا يطرق سمعك وانا
احكم عليه ان ياتيك بكل ما اخذه منك فان من جملة شروط التوبه
واعمالها رد المظالم الى اهلها فقال له يا ولدي اذا كنت انت تامرني بلبس
عمامتي بشرط ان تكون دائما انت جالس جنبي وفي صحبتي فقال له الامير
ولا بد لك ان ادعه يقبل يدك حتى يصفي له قلبك وذلك بعد ان يعتذر
اليك ويستسمحك وانت ايضا يا والدي تسامحه وتسلم له يدك حتى
يصافحك وتصافحه فقال له الشيخ والله يا ولدي ما الى على ذلك جساره
وان قلبي خايف من مثل هذه العباره فقال بيرس الآن البس عمامتك
فكيف تخاف وانا عندك وفي صحبتك قال فلبس الشيخ يحيى عمامته
وجلس الى جانب الامير في صحبته (قال الراوي) فهذا ما كان من امر
هؤلاء واما ما كان من اولاد الحسينيه فانهم قد اصطبحوا حكم عادتهم
وجلسوا يتحدثون بحديثهم حتى تضاحا النهار واراد وا ان ينصرفوا بعد
ذلك الى اشغالهم قال وكان الاسطا عثمان ناظر اليهم من بعيد فلما راى
اول واحد منهم بعد ان اصطبح سلم وقام ولم دفع من عنده شئ من الحطام
تصبر عليه عثمان حتى فارق الدكان واراد ان يمضي فناداه عثمان وقال له
يا شيخ فعرف صوت عثمان فخلع عمامته من غير كلام وقال له يا اسطا
انا في عرضك خذها وامضي امضي ولا تضربني برزتك فالجسم عليل
فقال له يا عم انا تبت ولكن عود الآن الى الشيخ سعيد وانبني بوضو غير
ان احدا يشعر بك ربه حتى الى اسأله وباسمي لم تخبره ولم تعلمه وان لم
تفعل ذلك والا حلت بك المهالك فقال له الرجل سمعا وطاعه ثم عاد الى
الشيخ كريم الدين وسار به في اذنه وقال له سير معي الى خارج الدكان
فان احدا اصحابك محتاج الى لقائك وترجع قوام قال فسار الشيخ كريم
الدين مع الرجل حتى اقبل الى عند عثمان فلما دنى منه ونظره تحققه وعرفه
وقال له انا في عرضك يا اسطا فقال عثمان لا تخاف فاني تبت ورجعت
عن جميع ما كان ولكن انا مرادي اسالك سؤال فعليك بصدق المقال

فقال

فقال له وانا اصدقك في جميع الاقوال وحتى الملك المتعال فقال عثمان اولاد الحسينية يشربون عرقسوس ويأكلون الحلاوات ولم يسطرك فلوس فياهل ترى هم يأكلون باليوم مرة او باليومين او بالشهر مرة اعطني الآن بالامر الحقيقي ولا تخفي من الاذى فقال كنا اعطاك تبت وخدمت عند هذا الجندي اغات الوشاقية فقال له الشيخ كريم الدين يا سيدي نهارك مبارك وامرك مطاوع اعلم بالبسطة ان حولان الاقرام بقي لحصول مدة اشهر وايام وهم يأكلون ويشربون جهاك عليه وذلك احب الاشياء اليه وانى ما اتخذ من احد منهم ولا درهم واحد وكل يوم يحضروا الى عندي ويأكلوا ويشربوا على الجندي فقال له امضي انت الآن الى مكانك واقف على حسب عادتك في دكانك ولا تتغير في احد عمن كان عندك فاصدق الشيخ كريم الدين بذلك وعاد الى الدكان ووقف مثل ماكان (قال الراوي) فهذا ما كان من الشيخ كريم الدين واما ما كان من عثمان فانه تاه الى مفرق الطرق ووقف حتى اقبلت اولاد الحسينية واحد بعد واحد واثنين بعد اثنين فكل من وصل اليه يمنعه من المسير حتى اجتمع عنده الصغير منهم والكبير ثم انه اظهر الزوزو وقال حتى عاينوها وصعقوا طربا وما منعهم الا من ارتكب منها وقال لهم يا جماعة انكم تشربون ولا تفكرون انا عثمان بن الحيلة ابو شياقة مصر ابن غزية الذي بيتنا في المراغ والقبر الطويل ولي عبد اسمه فرج وعلي يا حسن بيتي قنديل وانا اقول لكم الكلام الصحيح انا تبت انا وعشاري يدي عن فعل القبيح وخدمت عند هذا الجندي اغات الوشاقية وهو هذا الجندي الاشقر الاقنص الذي ذكره بعير الفكر صاحب الجواد الابلق والملك المدقق وهو الآن ليس اغات وشاقية وقد صار له كلمة مسموعة عند البرجية وانا اريد الآن ان اعلمكم بقصتي واعيد لكم حكايتي فكونوا لها سامعين بالاسماع واعين وقفوا امكانكم ولا يبرح احد منكم حتى يسمع قولي وينظر فعلي وكل من خالف شرطي يتعرض لضربي بهذه الزوزو اسكتوا الطرب بقوا الوا ها انتم واقفين وذلك مطيعين ثم ان عثمان وضع الزوزو على كتفه ووضع يده اليمنى عند خده وصاح باعلا صوته وقال هذا المراد

الحب قال لي ايش اسمك قلت له غالب يا والمشهور عالبيك ولكنها لقب

قال الجميل ايش مراده قلت له طالب * وصاحب والاسطبل كله مسلكك
سابق عليك ساكن المعلا ابو طالب

(قال الكراوي) ثم ان عثمان قال يا اولاد الحسيف انا قد علمت واخذت خبركم بقي لكم في صحبة هذا البيدق اربعة اشهر وانتم كل يوم قاعدون الى الدكان وتجلسوا من حواليه وتاكلون الحلوات وتشربون الفرقسوس عليه وما كان الا ابيكم قد ولد كرضيكم او انه يبرطلكم او يفعل ذلك لاجل خوفه منكم والآن انا من يوم خدمني على ماله وكلفني حتى امرني ان احاسبكم على ثمن الفرقسوس والحلوات جدد وفلوس والذي لم معه دراهم اخذ منه الملبوس فما سبوني من تلك البلده الى الآن يا اجماعه على ثمن هذه البضاعه فقالوا له يا اسطا ما يحتاج الامر الى حساب نحن كلنا نشرب جميعا عليه مدة هذه الاربع شهور فكل شخص يستحق جديد باربع دراهم فضه فالاربع اشهر على كل واحد منا ستة عشر نصف فضه قال عثمان كل واحد منكم يدفع الذي عليه فقالوا له يا اسطا نحن رجال اهل صنايع عديمه وهذه صنايع جسيمه وان الكوم هو علينا بل سيد لك هو الذي فيه اطمعنا ولكن كان ما كان خذ منا الذي معنا ويبقى لك الباقي علينا ندفعه على الطاوله الى ان تخلص الذمه من المحاوله فقال عثمان والذي ما معه شئ ولا يقدر على ثمن البضاعه يشربها الميش فقالوا له يا اسطا نحن ما عرفنا الا بعد ان يجي علينا بيع بطالبنا فقال عثمان ادفعوا الفلوس والا ما يحكم قال فاعطوه كلما كان معهم من جديد ودراهم وقلوبهم ثيابهم والعمايم وملف كل واحد منهم الف يمين انه ما بقي يانه الى دكان كريم الدين ولم بقي يشرب الفرقسوس ان كان بقرش والا بفلوس هذا وعثمان يحسب لهم الحبه بقرش والطاقيه كذلك بقرش وكان عنده النصف والجديد والدينار كله اسمه عنده قرش واذا اشترى ايضا حاجه لا ياخذها الا بقرش هذا وقد صار ياخذ منهم كل حته ان كانت حبه او زعبوط او قفطان او غيره بقرش ولم يزل ياخذ منهم ملا بسهم الى ان تركهم كما نزلوا من بطون امهاتهم ثم اخذ ذلك كله وما منهم الا من وقف قبال صاحبه وهو يستعوره

باصابعهم

باصابعه ويديه وكل واحد ينظر الى رفيقه بعينيه هذا وقد عقد
عثمان الملابس وحملهم لرجل من اتباعه وقال له اقعد بهم الى جانب
الدكان وجلس عثمان فوق تلك العقده وتركهم عرايا في غاية الالم
والشده وقد قال احدهم لرفقاه يا رجال كيف نمضي الى بيوتنا ونحن على
هذه الاحوال فقال آخر ما في الامر الا اننا نعلم الامير بالسؤال فقالوا لا نقعد
مادام عثمان واقف ينظرنا فقال آخر الراى عندى اننا نمضي ونقف قدام
الامير عسى ان يرانا ويكون باحوالنا خبير ويرق قلبه الينا ويقول
ياعثمان سلمهم ملابسهم لانهم كانوا اصحابنا ثم انهم ساروا الى ان وقفوا
قبال الدكان وكان بيبرس لا يعلم بشئ من ذلك الحال وكذلك الشيخ يحيى
الشماع جالس لا يبرح من جانب الامير لان قلبه مرتاع هذا وقد نظر
اليهم باعيان فلما رآهم بهذه الحاله تغير كيانه واصفر لونه واضطرب
كونه وقال لهم من الذى فعل بكم هذه الفعال واخذ عمايمكم وجردكم من
ملابسكم وتركتكم على هذا الحال ولم يخف من الملك المتعال فقال واحد
منهم ياسيدى انا اعلمك بما جرا ثم تامل الى خلفه فجاءت عينه فى عين
عثمان فقال ياسيدى ان عمامتى ارسلتها الى بيتى ليغسلوها والجبه
كان بها مزوق فتركتها عند الخياط حتى يصلح ما بها من المزوق واما
القفطان والخرمه ارسلت فيهم الخضار واللحمه والقميص مع اللباس
لحقتهم اوساخ وادناس وبقيت كما ترانى فقال الامير لرجل ثانى وانت
ياشيخ اين ملابسك وعمامتك فقال له انا ياسيدى بقيت اخبرك انا
راجل احدى وكل ما على من الملابس كان احمر فبعد ان قمت من عندك نزلت
على حدا يم خطفتهم منى فقال له واين الشال الذى كان على كتفك وهو
من الاقطان فقال له ياسيدى الكلوه الفيران فاعطيته الى الرفه
حتى يرفيه ويعوده كما كان فقال له واين البشت المستجد فقال اعطيته
للصباغ يعيده لانه كان جرد (قال الراوى) وصار كل ما يسال واحد
يظهر له عيوب ويكلمه بكلام لا يدخل العقول وكل هذا خوفا من عثمان
هذا وعثمان صاغى لمقالهم وهو يضحك عليهم فقال لهم الامير ياناس
هذا كلام لم يدخل العقل ولا له معنى ولا تشكل عليكم بالصدق ولا

تحاوروا فقال واحد منهم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شئ قدير ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
على كل شئ فان كنت لبيبا فانهم الصنى من قريب قال فعند ذلك فهم
الامير مقالة وعرف اقوالهم وصاح يا عثمان قال عثمان لبيك قال له
مالي ارالك هالمرعالي عن الناس فقال عثمان انا قاعد من فوق المصطبة
فقال له تكذب يا عثمان وحياة راسي ما انت هدرم هؤلاء الناس قال
له ومن الذي اخبرك قال له انا قد عرفت ذلك من نفسي فقال له عثمان
قل يا رب اصنع معروفا جزاء خفتم فقال له بيبرس وكيف انك ثبت هذا
نقضت التدبير فقال عثمان لا وسر راسك في نجاتها قد بقي ابقاها انخضها والبس
احسن للبر جعد انا هي ما الفني عن التدبير فقال له ولاي شئ ظلمت هؤلاء
الناس واخذت متاعهم حتى الياس فقال له عثمان اجعد وحدك اما
تعلم ان هؤلاء اولاد مصر وما منهم الا من له صنائع وقد تركها
بمصر حينئذ وقد بقي لهم اربع شهور وهم بطالين من صنايعهم وانت
السبب في تعطيلهم وبعدهم عن اشغالهم واذا داموا هؤلاء معطلة
ياخذون مالك ويتلفون حالك وانت الآخر تكون السبب في فقرهم
وفقر اولادهم وانت الآخر اذا صرت فقير يقولوا الناس قتل قدير
عثمان عليه فعرف بيبرس ان عثمان خايف عليه فقال له يا اخي ما
لا جل خاطري سلمهم حوايجهم فقال لهم عثمان خذوا الآن حوايجكم والبسوا
وعدوا باكروا الى هذه المكان وصجوها فقال واحد منهم عليه دلاقه
من زوجته ان رجع الى هذا المكان اقطع رقبته ثم اخذوا حوايجهم
وانصرفوا الى حال سبيلهم والتفتوا الى اشغالهم وتركوا بيبرس عند
بالقصر (قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الامير
بيبرس فانه اراد ان ينزل من الدكان ويسير الى منزله واذا بالغلمان
مقبلين اليه وقد قبل يديه فقال له الى اين انت صاير فقال له يا سيدي
اشتغل في البلد والحارات فقال له عليك بتقوى الله تعالى ثم ناوله
مائة دينار وقال له خذ هذه برسم النفقة الى ان تطلع حواكيكم فقبل
الارض وانصرف من بين يديه وسار الامير بعد ذلك الى حال سبيله

وهو

وهو طالب بيته وقد بات فى مقعده فى غاية الانشراح الى ان اصبح
الله تعالى بالصباح واضاء الكريم بنوره وبلاح فطلب الامير الركوب
فقدم له عتمان الجواد وقال له الى اين المسير فقال على ما يشاء اللطيف الخبير
ثم ركب جواده وسار وسار معه عتمان ولم يزل سايرا الى ان خرجا من باب
الخلوات وغار قوا باب الخرافة (قال الراوى) فبينما الامير سايروا واذا بعتمان
تعلق بلجام الحصان واوقفه عن السير ان فقال له الامير ما بالك يا عتمان
فعلت هذه الفعال فقال له اعلمنى الى اين انت سايرمن الجهات فقال له
الى محل ما يريد عالم الخفيات ولكن ما ذا يخصمك فى ذلك فقال عتمان
سيوح قدوس الخدمه ماهى بالدبوس ويسايس بلا ماهيه فاخته
معه فقال بيبرس ولاى شئ ذلك فقال عتمان انا قد فهمت الضمير
وعلمت ان مرادك تصطادنى وتوديني عند الوزير ابو فرهه وهو خصمى
واذا راني يبقبقنى وانه هو الذى سلطانك على وانت بيت مثل العقارب
خاين العهود قال فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام من عتمان
تعجب وقال له عن من تتنى يا عتمان فقال اقول ذلك عن ابو فرهه رفيق
الرجل ابو جوطه فقال له الامير انا ما اعرف لا ابو فرهه ولا ابو جوطه
فقال عتمان ابو فرهه الوزير شاهين وابو جوطه السلطان الصالح وان
ابو فرهه اكبر اعداى لانى جعلت له سبع ولاه فى مصر وكرشته من بيته
الى الديوان ومن الديوان الى بيته سبع مرات وجطع على سبع وجوفات
محل ما يجبضونى يجتلونى وانا له اروح عنده ابدا فقال بيبرس لا تخاف
يا عتمان من هذا الشان فانا اعلمه بانك بعت الى الله الملك الديان
واخذ لك منه الامان واعلم انى لم افرط فيك ابدا ما دمت اشم نسيم
الهوى وروحى دونك الفدا من النكبات والردا فقال عتمان اعلم انى
لم اروح معك الا اذا كنت ادبرك فان طاوعتنى اطعتك وسرت معك
وان خالفتنى خالفتك ورجعت من هاهنا ولم اتبعك فقال بيبرس
انا اطاوعك فافعل ما تريد واذكر لى ما خطر ببالك فقال له اذا رحت
انت الى هناك وطلعت الى عند ابو فرهه وسالك عن السايس الذى
خدمته وذكرت له اسمى وقلت له خدمت عندى عتمان بن لطيفه

فان رضي وفرح بذلك ابقى طل براسك من شباك المقعد وقل ياعثمان
وبيبرس اعرف انا امير راضي اطمئن واذا قلت له ذلك وغضب طل
وقل لي دقدقوش امسك انا المرزه وانت تهرب المدمشق انا اقطع الذي
تحت وانت تقطع الذي فوق ونملك البساتين وبيت الوزير بما فيه وانا
على ابو جوطه ابجي اطلع له الديوان واجيبه والسلام (قال الراوي)
فلما سمع الامير بيبرس من عثمان ذلك الكلام تعجب من جسارة قلبه وهمته
وكثرة شجاعته فقال الامير في نفسه طاوعه على قدر عقله لان هذا
رجل جبار وخايف من الوزير ومحتار فقال له ياعثمان كيف انك تعادي
الوزير والسلطان اما تعلم ان السلطان منصور وكل من يخالفه يرجع
مقهور فقال عثمان انا اعرف صحيح ولكن هل رايت في الدنيا احدا يرضى
باتلاف نفسه وهو قادر على هلاك خصمه وانا وسرها في مجاهلها اجدر
اجتل ابو فرمه وهو نايم في فرشه واجطع نخاعه ولا اخاف منه ولا من
اتباعه وانت لولا ان الوعد سبح والعهد بيني وبينك اتبع ما كنت
تجد تخدعني ولا تجد تحتالني لكن جزاخيروها انت الآن مرادك تفتح
للشرباب وتسلمني لابو فرمه يذيقني العذاب ويجبجني بجبة الكلاب
فقال بيبرس لا وحق ربه الارباب انا ما اسلم فيك لوزير ولا لسلطان
ولو كان دعى على السيوف دعان فقال عثمان طيبه عليك يا اشقر مثلك
من يخدم وخدامه يتشطر ولكن انا قصدي في الطيان وقد علمتك هذا
اللفه واللسان فان رايت الوزير يريد الصلح اخبرني وان رايته يريد
الغدر اعلمني والسلام فقال له بيبرس هو كذلك يا عثمان لابد ان اطل
لك من الشباك واقول لك الصحيح من غير اشتباك (قال الراوي)
ولم يزالوا سايرين حتى وصلوا الى بحر بلدما والبساتين واقبلوا على بيت
الوزير الاغا شاهين ونزل الامير على السلم وطلع الى المقعد فلما رآه
الوزير نهض اليه واستقبله وتلقاه واكرمه وحياه واجلسه الى جانبه
وجعل يتحدث هو واياه هذا وعثمان قابض على زمام الحصان وجعل
يسيره فاقبل سايس الوزير وتأمله واذا به الاسطا عثمان فباس يده
وسلم عليه وقال له سلامات ياجدي فقال له عثمان يا ولد خذ هذا

الحصان وسيره فقال سمعا وطاعه واخذ الحصان في ايده وجعل يسيره
كما ان حصان سيده هذا وقد اقبلت جميع الجدعان ووقفوا ان خدمة الاسطا
عثمان واراد ان ياخذوا من كبيرهم الحصان يسيره فقال لهم وحق
راس كبيري ما احد يسيره غيري ثم انهم ومشوا له سريع وجلسوه
فوقه مثل الامير وذلك بعد ان فرشوه ووقفوا جميع السياس الذي للوزير
الصغير منهم والكبير وكل منهم بالبنان يشير اليه (قال الراوي) فهذا ما كان
من امر الامير بيبرس فانه لما صعد مع الوزير وجعل يتحدث معه في المقصد
وقد طاب لهم الحديث ونالوا المراد والمقصد فقال له الوزير يا ولدي الى كم
تبعد عنا وبقي لك مدة ايام هاجرنا والى ما رايتك منذ اربعة ايام وانت
لنا من اعظم الاحباب واعز الاصحاب فدى شئ ذلك الهجران وانت لنا من
اعز الاخوان فقال له الامير ومن انا حتى يسال عني الدولتلي وزير الزمان
وما انا الا من جملة الخدام والاعوان ولكني كما اعلمتك حين غاربي الحصان
وانت الذي انقذتني من الهلاك والهوان وقد ذكرت لي انني انظر لك سايس
يكون لك مخصوص فاطمئن وخدمت لي سايس مخصوص وهذا سبب
مجيئي حتى اتيت من يصلح الى خدمتي فقال له الوزير رايت لك سايس
قال نعم فقال له الوزير لعله ان يكون ابن حلال بينفعك في المهمات فقال
له انه نصراني يا سيدي ووزيري فلعل نظرك اقوى من نظري
فقال له هل هو من الحيضيه او من اولاد الشيخ فقال له هو من اكبر
بيت من اولاد الشيخ فقال له وما يكون اسمه والحليه فقال له اسمه
عثمان ابن الحبله فلما سمع الوزير ذلك الكلام غاب عن الدنيا واخذه الهيام
وقال لبيبرس ايش هذا الكلام واين هو هذا من ذلك المقام فقال له
الامير بيبرس لا تعجل يا وزير الزمان حتى اقص عليك قصتي واحدثك
بحكايتي وذلك انني اتيت جميع بيوت السياس وميزت كل الناس
فما رايت يصلح لخدمتي الا هذا الذي ذكرته واصل خدمته بغيته
لانه كان قصده قتلي وتعجيل مرتحلي وانه لما وصل الى البيت
اراد ان يقتلني بغدره فلم يقدر على ذلك لاني خامرته وقبضت
عليه وضربته ولي عامود المقعد ربطته وقد احتال على

عقيرب حتى حله فلما تخلص من وثاقه ربط عقيرب محله وسرق
عدة الحصان وهرب بها ليلا من ذلك المكان فلما جاء الصباح
وظهر لى ذلك الايضاح فجدبت فى طلبه واتانى همه وحميه حتى
اتيت الى مغاير الزغليه ولم ازل حتى قبضت عليه وسرت به
بهمه وشده فهرب منى ودخل مقام السيده فاقسمت بالله
لابد لى ان اخدمه عندى وان لم يطيع لابد لى من قتله بيدى
كما هو طالبه عندى وقد كان النصيب وتوبته وتخاويت معه
على مقام السيده وخدمته واخذته هو وكامل اتباعه
وصاروا عندى من اعز احبابى وانطاعوا ولما ان اردت الحضور
الى عندك اراد ان يرجع ولم يات معى فسالته عن السبب
فاخبرنى انه قتل سبع ولاد وانت قطعت عليه سبع
فرمانات لكل من لقاه يقتله ولا احد ابدا يطالبه
فلما سمعت منه ذلك ضمنت له اصلاح الشان والرضا
والعفو من وزير الزمان فرضى بذلك وقال لى بشرط قد
شرطه علىّ واتفاق حصل بينى وبينه وذلك انى اذا رايتك
عنه رضيت ولم تطلب له اذى ولا عليه تعديت انا وياه من شباك
المقصد واقول له ورحيش واما اذا رايت منك الغدر ونويت له على
الشر والضرر وهذا شئ ما به خفا اطل له من الشباك واقول باحتمان
شفا فاذا سمع منى هذه الكلمه يجرد الرزه وانا اجرد اللمت
الدمشقى ونقتل كل من كان هنا وقد التزم هو ان يقتل كل من
عنده والزمنى يقتل كل من عندى وان لم اقدر على ما به اوصانى
فهو يدركنى ويساعدنى ونهلك كل من كان فى البيت نسا
ورجال ونملك البساتين وتلك الاطلول ونحتوى ايضا على
بحر بلوما ونوقع بمن فيه الندامه وها انا قد اعلمتك القصه
وازلت عنك الغصه وان هذا الرجل مريد الست وتابعها وقد
تاب على يدها وهو خادمها والراى عندك يا مولاى ان تكرمه
لاجلها وهذا ما عندى وبعد ذلك فرايك اولا وكلما رضيت به

يكون اعلم (قال الراوي) فلما سمع الوزير ذلك الكلام اخذه
الضحك ولا بتسام وقال له يا ولدي اذا كان قد رجع وتاب فما ينبغي
لنا ان نفتح لهلاكه باب لان من تاب تاب الله عليه فاطلبه الآن الى
عندي حتى انظر اليه وانا لا جلك والله قد سامحته في جميع خطيئته
فامر بالطلوع حتى اراه وانعم عليه هو وجميع رفقاه قال فعند ذلك
اخرج الامير راسه من طاق المقعد وقال يا عثمان جاك عثمان شفا ولا
ورميش فقال بيبرس ورميش يا عثمان فقال عثمان اياك شفا فقال
له لا يا عثمان ورميش فاطلع الآن من غير تاخير واجب صولا نا الوزير
فقال له ان كان الوزير قد رضي علي وعفا عني ولم يقدر لي ولم يحن نحن
فاريد منه ان يرسل لي من عنده اربع مماليك تسندني حتى اطلع الى عنده
واعرض جوابه وقصده فقال بيبرس سبحان الله يا عثمان ما انت الا عديم
الذوق وايش هذه المسافة حتى تسند لك المماليك من تحت الى فوق فقال
الوزير يا ولدي انا سمعت كلامه ولا بد ما ابلغه مرامه ثم انه ارسل اليه
اربع مماليك صغار كانهم الاقمار فقال عثمان يا بو فرمه هؤلاء ورميز الى
ورميش ان يطلعوني تاخذهم وتضعك علي فقال الوزير والله ما انت الا رجل
طماع وهم جيا حتى اليدين ولا تجاعلك فاصعد يا عثمان واعلم انهم قد صاروا
لك غلمان لاجل خاطر سيدك لانه لنا من اعز الاخوان فقال عثمان اما الصعود
فما له حاجه عندي فان كنت تهاديرنا فعل ما تريد ثم ان عثمان التفت الى
المماليك وقال لهم ايش اسماكم فقالوا له هذا رشوان ورسم وهذا امان
وانا عثمان فقال لهم هذه الاسما ثقيله على اللسان ولازم افيرا سماكم فانتم
اسماكم حنيبش وهذا سنيبش والثالث ابو طبله والرابع ابو الدرج فكل من
بدل اسمه او غيره منهم بهذه المرة اخذت خبره فقالوا له سمعا وطاعة فقال
عثمان احرصوا ان تردوا باسما كم الا صليه اذا نادا كم الوزير ابو فرمه فسلا
تجيبوه بالتليه فقالوا له سمعا وطاعه ثم ان عثمان بعد ذلك
قام بينهم وهم يسندوه الى ان صعد على الوزير وادخلوه فلما
راه الوزير اخذته حميه عظيمه فنهض له على الاقدام وسلم له
كفه ليصافحه كما تفعل الامام فقال له عثمان ارحب وخير بيبرس

كف الوزير بكفه كاد ان يخلع ذراعه من كتفه وهو يقول له
ارحب ياجدع فاشار له عثمان بعينه وقال له ايش هذا الفعل
والريب وهذه والله قلت ادب فقال عثمان هو الذى قال لى
ارحب وسلم على سلام الجدعان وانا لا اعرف غير هذا السلام فقال
الوزير دعه ايها الامير فانى والله قد راق له قلبى ومحبته سكنت بين
اضلعى ولبى ثم قال له اجلس ياعثمان فجلس الى جانب الوزير وسط مقعد
الديوان هذا وقد راه الامير وقد فعل هذا الفعل المنكر فجعل يغمزه ويشير
اليه لاجل ان يتأمر فقال عثمان بتغمزنى ليش غمزك حنش يدج فى بيضك
انت وابو فرمه سوى وانه هو الذى امرنى بالجلوس فجلست وان قال لى
قم قمت ونزلت (قال الراوى) فلما سمع الوزير ذلك ضحك واخذه
الابتسام واعرباحضار الفراما نات وسلمهم الى عثمان فقال
عثمان هذه جلت نخوه منك ومن السلطان هو الورج
يجتل الناس اما انا اذا كنت فى مشاديدى اكسر كل من
كان قدامى اذا جلت حاس وحق المبرجعه بالانوار لو نزل
لى كل امير كان فى الديوان بعسكره لا بد لى ان اهقه واكسره
وانا هذا الجندى هو الذى اذلنى وعمل على عندى وكاد فى
بهذا اللت الدمشقى خيب الله كل من دمشقه وانا الآن
ما بقالى يد على احد لانى تبت لله الواحد الاحد ثم ان عثمان
قطع الفراما نات وقال كل من نظر الى هذه الاوراق منكم
يترحم على اصحابهم فضحك الوزير وتعجب واخذه العجب والطرب
واعطاه الوزير الف دينار ذهب فقام عثمان على حيله واخذهم
وقبل يد الوزير وناول المال لاحد المماليك وقال له خذ
احفظ هذا المال معك حتى اطلبه منك هذا وقد اراد الوزير
ان يكلم المملوك فقال يارشوان فلم يرد عليه انسان فنادى
الثانى فلم يجبه وكذلك الثالث والرابع فقال الوزير
ياعثمان انظر الى هؤلاء المماليك فانهم لم يجاوبونى وما
يردوا على ولا كانهم سمعونى فقال عثمان انا قد غيرت

اسمهم

اسماهم حتى لا احد يفرقهم وانهم ما يجا وبوا غيرى ثم نادى على
الاول وقال يا حنيس فقال له لبيك يا سيدى فقال يا منيبش
فاجابه بالندا وكذلك الباقين فضحك الوزير والحاضرين وقال
يا عتمان الحمد لله الذى اهداك وانقذك من عماك فانت الا بطل
جسور وعلى عرضك غيور وقد سامحتك فى كل الامور وفى ذلك
الوقت حضر الطعام فاكلوا حتى اكتفوا وشربوا الشربات واشتغلوا
ودار بينهم الحديث والكلام حتى عزم النهار على الانهزام وعزم
الامير على الانصراف هو والاسطا عتمان بلا خلاف واستاذن
الوزير فاذن له بالمسير وقال له الوزير يا ولدى من الان عند
الصباح تكون انت قد صليت وقبل توجهى الى الديوان تكون عندى
فى البيت حتى انى اعلمك الحرب والقتال والطعن والنزال وابواب الحرب
والخداع وان ذلك يكون لك فيه الانتفاع فقال له بيبرس سمعا وطاعه (قال
الراوى) ونزل الامير بيبرس بعد ان قبل يد الوزير وهو يمشى عليه وصار
كل يوم ياتى اليه ويتعلم من دون المماليك كل ما ورد عليه والذى يتعلمه المماليك
فى شهر يتعلمه بيبرس فى يوم واحد حتى ان جميع المماليك كادت ان تنفطر مرارتهم
من المكايد ودام الامر على ذلك الحال مدة ايام وليال الى ان نزل الوزير اليه
وقلب ابواب الحرب كلها عليه فراه قد صار فى الحرب نردخانه وهو الرئيس
فى حربه وطعانه فقال له الوزير يا ولدى والله لقد تعلمت ابواب الحرب وعرفت
مواقع الطعن والضرب فقال له بيبرس يا ابويا ان الحرب كثير الابواب ولا بد
ان يكون له باقيه يعلمها اصحاب الضراب فقال له الوزير والله يا ولدى
وحياتك ان الابواب التى اعرفها كلها علمتها لك وهى مرسومة عندى فى كتاب
وها انت قد عرفت خطاها والصواب وانما باقى باب واحد مرقوم ولم يعرفه احد
من العرب ولا من الروم يقال له حرب الارخرسيات عوضا عن النبال والطارقات
(قال الراوى) وهذا الباب اذا تحاربوا اثنين به مع بعضهم ولو كانوا فى لعبهم
من غير حربهم لا بد من فقد احدهم فمن اجل ذلك ما هان على الوزير ان يعلمه
للامير لعلمه انه بطل نحرير وبامور الحرب خبير فقال الامير بيبرس ايها الوزير
علمنى هذا الباب فرا اجد احدا اعز على منك من الاصحاب فقال له يا ولدى اذا

كنت بر اتا ثلاث فلا بد منا فقد واحد منا وما يجوز لك ان افعله لك خير فاعل انفسنا
فقال بيبرس يا وزير الله اكرم ان شاء علي من سبيل لا اعمل فقال عتاقة هيا
هو الكلام الملزم فسيرنا يا اشقر نمضي الى بيتنا وفي ذلك المكان لم يبق غير
قال فعند ذلك ركب الامير وسار مع عتمان وكان ذلك عند انصرام الظلام
وبعد واني المسير وهو الشيئة والتدبير وسار الرباعيين من غير تعويق
حتى توسطوا الطريق فبينما هم سايرين في الفلا والرمال واذا قد ظهر
من بين ايديهم خيال وقد خرج اليهم من وسط تلك التلال وكان ذلك
الخيال على جواد اصفر عالي مضمر وعليه ثياب بيض وقباب مزعفر فقال
عتاقة الرجل ما هو جيا الينا يا اشقر فقال الامير اي رجل هذا من العرب
فقال له هو عقيرب الفارس المنتخب فقال له الامير ايش هذا المقالب
يا عتمان وايش يكون عقيرب حتى تمثل به هذا المثال (قال الراوي) وكان
ذلك الخيال الذي ظهر من بين الجباس وقد اقبل في اعتكار الظلام كان
هو الخضر ابا العباس عليه السلام وهو يقول اذن مني يا بيبرس حتى
اعلمك حرب الانجرس من غير خصام ولا منازعة حرب ولا صدام ثم ان
الاستاذ مد يده واخذ بيبرس الى عنده وضمه الى صدره وقال يا صناعة
حروب الانجرسيات ادخلي باذن رب البريات في اذن هذا الغلام المجاهد
في سبيل الله الملك العلام حتى ينال العز والافتخار باذن الله تعالى الواحد
القهار حتى يكون منصورا على الكفار اللئام الاشرار اللهم لا تخرجه لاحد
يعلمه وبالتدبير توهبه هذا الباب حتى يفهمه ثم ان الاستاذ رد الامير
كما كان وقد غابت عنه الاذهان ونظر الاستاذ ايضا الى عتمان ولحظه
واوهبه شيئا مما اعطاه الله الملك المنان وبعد ذلك ذهب الاستاذ
حابان كان ما كان يا سادة يا اهل العرفان صلوا على النبي العدنان ثم بعد
ذلك افاق الامير بيبرس على نفسه ونظر قدامه فلم يجد احدا من ابناء
جنسه وراى بين يديه قوسا مثل القيسان الذي كان راهم عند الست
فاطمة بنت الاقواسي واربع حربات انجرسيات ولحمر اسنان معوجة
من قدام مستعد له الى ورا حتى اذا دخلت في بدن انسان تدخل بسهوله
واذا جذبها الخصم منه تخرج بصعوبة وتبقى من السم مستقيه فيموت

كل من كان عليه القضا بضرب تلك الحربة ولما افاق الاسير
وراى هذه الاشيا فرح بها وكان متعلم ضربها وقد
علمه الله اياها فحمد الله تعالى وشكره على جزيل نعمه وفضله
وصاح على عتمان وكان ايضا قد اخذه المنام فنام فلما صاح عليه
الامير استيقظ من منامه وقد فرح بما اعطاه الله له من افاضه
واجابه سيده بالندا فقال له سيرينا الآن نمضي الى منزلنا يا عتمان
فقال عتمان تقلمت الباب واغناك الله عن جميع الاحباب والاصحاب
فقال له اسكت يا عتمان فقال عتمان اما تعرف هذا الرجل فقال له والله
ما هو الا ريجل ذات كمال وعز وافضال وما اقول الا ان هذا ريجل من
الابطال وله اتصال بمن يعلم السر والحال فقال عتمان انا ما جلت لك
انه مشدود عجيب وكان اصله مايس وانا اعرفه من مده زمانيه
فقال له الامير اسكت يا عتمان فقال عتمان اعطاك الجوس والحرابب
وعملك الباب فقال له اسكت يا شيخ فقال عتمان وانا قد اخذت اجرتي
وهي على جدر جسمتي فقال الامير لا تطيل الكلام فقال عتمان جتك
داهيه انت وهو اسوا يا حماده وقد سار الامير الى منزله وهو فرحان
بما انعم الله به عليه من فضائله ولما ان كان عند الصباح صلى الامير
صلوة الافتتاح وركب على حسب عادته والقوس معه والحرابب
وطلب بيت الوزير وذلك الرحاب ولما ان قدم على الوزير قبل يده
واعلمه بيلوغ قصده ففرح الوزير وقال ان الله على كل شئ قدير
(قال الراوي) وجلس الوزير يتحدث مع الامير وجعله انيسه وصار
دون المماليك جليسه وبقي عنده اعز من روحه وولده فلما ان
عاينت المماليك ذلك اغتاظوا غيظا شديدا مما عليه من مزيد وقالوا
لبعضهم يعني لاي شئ ان الوزير يحب هذا الولد من دوننا ونحن لا يلتفت
الينا ولا يراعينا ولا يحبنا ونحن على كل حال ماله وهذا ما هو مملوكه
ولا هو ابنه ولا يقرب له فكيف انه من دوننا يقربه ويكرمه ويحبه
فقال علاء الدين البيسري اعلموا انكم اذا طاوعتوني ادبرلكم تدبير
يغلب الاكسير ويريح هذا الولد في غاية التدمير فقالوا له

دبر ما تريد فنحن عن قولك لا نحيد فقال لهم الراى عندنا اننا
نلبس كلنا ملابس العرب ونقف عند العيون بعيد عن القلعه
ونرتصده حتى ياتى الينا فاذا صبر بالنهار او بالليل نزلنا
عليه نزول السيل ونهد منه القرى والخيل ونقتله وكل
الارض تخندله ونفعل ذلك بكل من كان معه ونا خذ
مامعه من المال ونقضى الاشغال فقال بشتك استغفر
الله هذا والله حرام على المؤمنين ان تفعل هذه الفعال السيئه
فقال علاء الدين ان اردتم ان يعلو اقدركم ويشتهر ذكركم
فافعلوا ما اشرت به عليكم ولا تبدوا لاحد امركم ولا تعلموا
باحد حالكم فقالوا الجميع هذا هو الصواب فالراى الذى
لا يصاب هذا وقد غيروا ملابسهم وركبوا خيولهم وغطوا
رؤسهم بمراتسهم وطلعوا جهة العيون والذى قدره الله
لابد ان يكون ياساده ثم انهم اكمنوا تحت المجارى التى فى
اعلاها الماء جارى وقد اضمروا ان يقتلوه اذا راوه (قال
الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الامير
بيبرس المقام فانه بعد ان اكل مع الوزير الطعام قام يتحدث
معه الى ان تنصف الظلام وطلعت العيون حظها من
المنام فنهض بيبرس على الاقدام واستاذن الوزير فى
المسير لاجل ان ينام وامر عثمان ان يحضر له الركوبه فقال
له عثمان دعنا نبات هنا الليله لاننا كثرنا المجئ والرواح
وعلمنا الطريق مقياس فى المسا والصباح فقال له بيبرس
ياعثمان اترك الفضول فجال عثمان طاوعنى فيما اقول
فقال بيبرس لابد من المسير فجال عثمان يلطف بنا اللطيف
المجير والله يا اشقر انهم علوج ولا احد منهم يجدر يهمل
معنا شئ لا عدل ولا معووج فقال له بيبرس ايش هذا
الكلام ياعثمان فقال له عجيب كل ساعه يتشاجروا معه
الجدعان وجد نصبروا على قتله الليله وكان مرادى اننا

نيات بعيد عنه حتى اذا جتلوه ما نراه لاني اذا رايته يحزن
جلبي على شانه فقال له الامير يا عثمان هذا والله كلام جنان
ثم سار الامير ولم يزل سايرا الى ان وصل الى ذلك المكان فطلعت
عليه المماليك وهم على زي العربان وتصايحوا بلغات العربان
فقال بيبرس دونك واياهم يا عثمان وانا اساعدك بذلك
اللت الغضبان ثم جرد اللت في يده وطلب مقدم العرب
وضربه على صلبه كاد ان يعطبه ووقع الى الارض لحم
يعرف الطول من العرض وجذب الثاني من خناقه كاد ان
يخرج احداقه وطلب الثالث وضربه ضربه كاد ان يسكنه
الطربه وكلما ضرب واحد منهم يكون عثمان ضرب آخر بالرزه
هذا وقد اهابوه المماليك وعلموا انه ما لهم به طاقه فتاخروا
عنه وطلبوا الهروب فصاح عند ذلك الامير بيبرس صيحه
تفلق الحجر او تملح الشعر وقال انا اغات الوشاقيه الا سيروا
بيبرس ابا الفتوحات والنصر وسوف تروا يا كلاب العرب
ما يحل بكم من الضرر والنكد هذا وقد صاح عثمان حاس
طريجين يا اولاد الجبه تروني عثمان بن الحبله وبيتنا
في المراغه والجبر الطويل ولنا عبد اسمه فرج وعلى باب
بيتنا جندبل هذا وقد مسك عليهم عثمان مسلك الطريق
واعدمهم الامير بيبرس السعاده والتوفيق فعندها
تقدم اليه الامير قلاوون الالفي وقال له يا اخينا لا تؤاخذنا
بفعالنا فاننا ما عرفناك فدع هذا الامر والارتباك
هذا وايدمر تقدم الى عثمان وصار يقول له يا اسطا لا تؤاخذنا
بما فعلنا فجال عثمان وايش انتم فقال له اعلم يا اسطا اني
انا ايدمر البهلوان وهذا افلان وهذا افلان فعند ذلك
صاح عثمان على سيده وقال له يا اشقر اضرب فارغ
وملان حتى نقبض على هؤلاء الغلمان ونمضي بهم الى
الجدعان حتى يحتظوا بهم مثل النسوان فهذه غنيمة

قد ساقها للسياس الملك الديان هذا وقد جعل الامير يقدم فيهم يمين وشمال حتى القى منهم ستين على وجه الارض ملقين كانهم ميتين وهرب الباقين فقال الامير لبيرس يا عثمان اقطع رؤسهم ليكون هذا جزاؤهم فقال له بيرس في عرضك واعلم باننا ما لنا مال الوزير وقد سمعنا ان العرب يخطفون متاع العباد ويفعلون الشر والفساد وما تركنا الا حتى نرد العايط والغريم فلما رايناك ظننا انك من جملة الاعراب فاقبلنا السلف كما ترى وجرا لنا منك ما قد جرا فقال لهم وها انتم الخمسة وستين مملوكا الذي يريد الوزير ان يجعلكم امرا الديوان ويذل بكم العربان فانا والله ما امن عليكم ان ترعوا غنم ولا ثيران وما الوزير في ذلك الامر الا خرفان وما انتم رجال ولا تنفعوا في اهوال ووالله لو اردت ان اسوقكم كالخرفان لا سوقكم وحدي في الوديان مثل الخرفان ووالله لولا اني اخاف من عتب الوزير والا ما كنت ابقيت منكم كبير ولا صغير ولكن يا عثمان اعمل دعوتهم ودعهم يسيروا بعد ذلك الى اماكنهم فقال له دعني انا واياهم وانا اجازيهم على فعالهم ان لم يجبهم شغلي ولا يرضوا يفصلوا يبقوا يتقضوا التوبة شر انت الآن الى حال سبيلك فاجابه بيرس وصار طالب بيته هذا وعثمان قد اقبل عليهم وقال لهم يا جدعان كل منكم يستغني عن ثيابه ويقلعها ويفوتها ويترك الجواد والعده والسلاح ويسير بعد ذلك الى حال سبيله فقال واحد منهم والذي لم يفعل ذلك ولم يهون عليه ثيابه ما الذي تفعل فيه فقال عثمان انبطه بالرزه واخليه سجيح مكانه فقالت المماليك وقد خافت على انفسها من المهلوك وسوء الارتباك يا اسطا نقلع الثياب واتركنا نمضي ركاب فقال لا وسرها في مجاريها كل من تاخر منكم عن قولي لابد لي ان اجتله برزتي هذا وقد خلعوا ملابسهم وما ترك عليهم شيئا يستترهم واخذ عثمان الملابس والخيول وتركهم على مثل

ذلك الوجه الى بيوتهم وسار بعد ذلك طالبا مسيره (قال الراوى)
فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الوزير الاغا شاهين فانه بعد
ان سار الامير بيبرس من عمان جلس وحده في مقعده
فبينما هو جالس واذا بعض الخدام دخل اليه وقال له ايها
الوزير اعلم ان المماليك قد وقع بينهم الاتفاق والتحقيق على الغدر
بعمار ضد الامير بيبرس في الطريق وبعدموه السعادة والتوفيق
وذلك لما في قلوبهم من الحسد الذي اضمنا منهم الجسد لان المماليك
يكرهوه وما الصرعين ينظروه بالسعادة فلما سمع الوزير ذلك الكلام
صار الضيا في وجهه ظلام وقال ان كان هذا رايهم فان بيبرس
وحده قدرهم وهو يظفر بهم لانه كفوهم واضعافهم ولا بد له ان
يجازيهم على فعالهم ولا سيما وصحبة الدامير الدهما والبلوة العما
عمان بن الحبيله الذي لا يوجد مثله ولا بد لي انا الا ان افعل
معهم عمل حتى اقابل كل احد منهم بما فعل ثم ان الوزير نزل الى اسفل
الدار وصاح بالفراشين فاقبلوا على الاثر فقال لهم اكنسوا الرمل
وارشوه وعلقوا الخيف وارقدوه وارقدوا ايضا المشاعل وزيدوا
الرش في جانب الارض زايد ونازل فاجابوه الى ذلك وفعلوا ما
طلب وقد صار الحوش مثل الظهر اذا جاد وقت الحر ثم انه امر الغواشين
بغلق الابواب وقال للبوابه لا تفتح الباب الا بعد ساعة زمانية
حتى ننظر هذه القضية وكان الاوان برد ياسادة وما فرغ الوزير
من هذه الاشغال حتى اقبلت المماليك نحو الاطلال واقبلوا
على جانب الباب وجعلوا ينادون ان افتح الباب يا بواب والبواب
يسمع كلامهم ولا يفتح لهم حتى مضت الساعة بالتقريب كما امره
بذلك الوزير وهم ينادون عليه ولم يقدروا ان يصيحوا بالليل
او يضربوا الباب خوفا من الوزير ان يراهم بهذه الحيلة وقت
والارتياب ثم قام بعد ذلك البواب وفتح لهم الباب بعد ان اشتد
من البرد على الهلالي والذهاب وقد دخلت المماليك وكان مرادهم
ان لا احد ابراهم ولا يطلع على اسرارهم واذا هم وجدوا الباب

المشاعل والشمع والقناديل والحوش قد صار مرشوش وفيه هؤلاء
القناديل من سائر الاجناب والوزير جالس على اعلا مكان وحوله الخدام
وكلهم واقفين مستحضرين فلما راهم الوزير قال من هؤلاء القادمين بالليل
فقالوا له نحن المماليك فقال لهم واين كنتم ومن اين اقبلتم واين خيولكم
وملابسكم فقالوا له اعلم اننا كنا ظلمنا نزور الامام فظلموا علينا العرب
وسط الاكام فاخذوا املابسنا وتركونا كما ترانا فقال لهم الوزير وانتم ما كان
معكم سلاح ولا حراب ولا رماح حتى كنتم تدفعوا عن انفسكم وعن خيولكم
وعن امتعتكم وكم كان عدد اعدائكم حتى فعلوا بكم هذه الافعال فقالوا له ناس
كثيرين والدنيا ظلام فقال الوزير يا كلاب تكذبون علي ثم صاح على الغلمان
هاتوا العدة فاحضروها وقال مدوا علاء الدين فضرب بمائة وخمسين وفعل
كذلك بالباقين وهم عرايا غير لابسين حتى اشرفوا على التلف والعذاب الاليم
ثم امر لكل واحد منهم بعد ذلك بكسوة وصرفهم الى اماكنهم فصاروا يتألمون
ومن شدة الضرب والبرد ينحنون وهم لعلاء الدين يسبون ويشتمون
قال وكان ذلك وقت الفجر ثم انه ارسل عند الفجر الى الامير بيبرس
يامره بالحضور الى عنده فلما وصل اليه الرسول ركب الامير بيبرس الجواد
واخذ عتمان معه وسار قاصد بيت الوزير فلما رآه نهض له وضمه الى
صدره وصار يتحدث معه وقد قال له من جملة الكلام اخبرك يا ولدي
بما جرا بالامس وهو ان العرب طلعوا على المماليك عروهم واخذوا خيولهم
ونهبوهم فقال له يا ابي يا ان العرب ما احد منهم تعرض للمماليك باذيه وانما
هم ناقصين تربيه وما كان قصدهم الا قتلي ونهب مالي فسلطت عليهم
عتمان فهزاهم واخذ خيولهم وسلاحهم واذاهم ولولا خاطرك والا كان
عجل فناهم فضحك الوزير من ذلك وقال له يا ولدي من الآن يجب عليك
ان تحذرهم وتحترس منهم فقال بيبرس الامر لله ما يشاء يفعل ثم بعد ان
واربيهم ذلك الكلام حضر لهم الطعام فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا
واقاموا على مثل ذلك الحال الى ان جاء وقت الزوال وعزم الامير بيبرس
على الانصراف ونزل معه عتمان والاربع مماليك الحسان وركب الامير
بيبرس الجواد وسار في الميدان وهو قاصد بيت نجم الدين البندقداري

وباتوا تلك الليلة وكانت ليلة الجمعه فلما مضى يوم الجمعه
واقبل يوم السبت فقال بيبرس يا عثمان مرادى ان امضى الى
مكان يكون فيه نزهه مثل روضه او بستان فقال له عثمان
ونزهه يعنى ايش فقال يكون فيه ماء وخضره ووجوه
حسان الا تنى سمعت حديثا رووه اهل العرفان وهو ستة
يذهبن الحزن الماء والخضره والوجه الحسن والدين والدفا
وصحة البدن (قال الراوى) فقال عثمان اعلم ان المياه فى بحر
بولاق ولم يكن احسن من ذلك انقاج واما الخضره التى هى
نزهة للناظرين تجدها يا اشقر فى البساتين واما الوجه الحسن
فهاهو عندك عجيب لب صاحب الوجه والجبين الذى من نظره
عند الصباح لم ير تحزين فقال له الامير يا عثمان لا تخلط الجد
فى الهزل فقال له يا اشقر ان اردت الصواب فامضى بنا الى
بولاق جسن الانقاج فسبحان مسبب الاسباب وهو
الملك الخلاق وهذا نهارك مبارك ولا بد من امر يكون مدارك
فسار الامير الى جهة بولاق وهو على نيه وطيب اخلاق
(قال الراوى) واعجب ما فى هذه السيرة العجيبه من الامور
المطربة الغريبه ان بمصر حاره يقال لها درب مصطفى بيك
وفيها قاعة قرازه واسعه وتلك القاعه بها ثمانية انوال
يشتغلون الاقمشه وعلى كل نول رجل من الرجال وهؤلاء
الصنايعيه لهم فى كل يوم سبت عاده وذلك انهم يبطلون
اشغالهم لاجل نزاهة انفسهم ويكلفون الغدا فى ذلك اليوم
ولا يأخذهم فزع ولا لوم وكان الغدا كل سبت على واحد
يكلف الغدوه لرفقائه وهذه عاده مستمره بينهم ولهم
على ذلك مدة زمانيه وكان من جملتهم رجل له مكر وخداع
وله حيل كثيره لها استماع فكان ياكل ويشرب معهم حتى
اذا جاء الدور عليه يتعلل بعلة عجيبه او نكتة غريبه
اما ان يقول لهم جد دوا الدور ثانى مره فاذا جاء على

الدور اكلف غدوتين واطعمكم سبتين فيتركوه وتارة يقول لهم
بالامس وضعت زوجتي والدراهم فرغت من يدي فاعذروني
في هذه المره فاذا جاء دوره يقول ان الكيس وقع مني بما فيه
من الدراهم ولما اتى اليه الدور يذكرهم مثل هذه الامور
فضاقت صدورهم وحاروا في امورهم واتفقوا على ان
يمنعوه وصحبهم لا يعاشروه ولما ان كان يوم الجمعه اقبلوا
اليه وقالوا له ياعرفه هذا اليوم يوم عيدك وابعدنا وعنك
الآن لاتماشينا ولا تتبعنا فقال لهم انا اخاكم من زمان
وانا صاحبكم ولا يمكن ان افارقكم ابدا ولو ضربتموني بسيوفكم
فلما عياهم امره ولم يقدروا على منعه قالوا له نحن ما
بقينا نمضي ولا نبطل من صنعتنا ولا بقينا نفارق قاعتنا
فقال لهم مثل ما يقتضيه عقلكم افعلوه ثم انه تركهم ومضى
عنهم واتفق رايهم مع بعضهم انهم ينسحبوا ويمضوا ويدعوه
ويغيروا امكانهم الذي كانوا فيه ثم انهم مضوا الى رجل زيات
واخذوا منه قصعة كبيره وصنعوا البسيسه واقبلوا الى
محل معتكف مزروع حشيش اخضر والى جانبه فسقيه فيها
ماء زلال حتى امتلا السكر فقالوا انقيم هاهنا وهذا الرغيف
لايرانا وانما ينظرنا ثم انهم اجتمعوا وجعلوا القصعة بينهم واراد
ان ياكلوا واذا بالرغيف عوف القزاز مقبل اليهم وقد تقدم
وسلم عليهم فلم يردوا عليه سلامه ولا ابدوه بكلام فقال
لهم يومكم هذا مبارك فقالوا له اذا كان بغير اجتماعك فقالوا
له ارجع عنا ولا تاكل من طعامنا ابدا والا انزلنا بك الردا
فقال لهم لابد لي من الطعام ولو ضربتموني بالنعال والحسام
فقال له بعضهم ياعوف انا اعلمك بالصحيح وذلك انا كرهنا
الاشتغال لشدة الشقا وعذاب الاذال واتفق راينا على
قتلك نقرسنا وعدنا ولم ناخذ ذنب غيرنا في رقبتنا
وشاغلنا البسيسه بالسم الخارق حتى اذا اكلنا منها

نفني سماعتنا الدنيا نفارق ولاجل ذلك صنعنالك والآن
بحالنا اعلمنا الله فقال لهم اعلموا اني في ذلك الامر انا قتيلكم وما
اريد الحياة بعدكم لاني مالي عز الا بكم فعند ذلك تقدما بكرا
اليه وضربوه وجعلوا يسمجوه ويشتموه ومن الاكل منعوه
فقال لهم اذا كانت هذه رايكم فقد بقي لي ان ادبر امري في امر اعكم
من طعامكم ثم انه تركهم وسار الى راس ذلك المكان واذا قد قابله
الامير والاسطى عثمان فلما راه الامير بيبرس دنا منه وقبل
يده فقال له الامير ايش انت فقال له اعلم اني رجل معلم
فزاز وعندي سبعة صنايعيه وفي كل سبت اعمل لهم عزومه
في ذلك المكان بالكليه وهذا النهار اشتهوا على البسيسه فاردوا
ان ياكلوا فتاملت ملاحة وجملة السعيد فقلت لهم ارفعوا ايديكم
حتى اعود اليكم واتيت اليك اريد ان تشرفني انت وسايسك
فاجبر خاطري وتفضل وكل زادي فقال له الامير سمعا وطاعه
وسار معه الى ان وصل الى الجماعه الفزازين فلما راوه نهضوا له
وتلقوه وفرشوا له دفاتيهم واجلسوه وقالوا له بسم الله وقدموا
القصعه واخذ كل واحد لقمه ووضعها في فمه وعثمان كشف البرنس
عن راسه فوقفت عن الطعام ايديهم واللقمه سكنت في افواههم وتاخروا
الى ورائهم وقالوا الحمد لله رب العالمين هذا ذنب الشيخ عوف
فقال الامير ما تاكلوا فقالوا له يا سيدنا ياما اكلنا كل انت
وسايسك فقال عثمان كلوا ياجدعان فقالوا له يا اسطا قد
شبعنا وما بقي لنا نيه فكل انت هنيئا وعافيه فقال عثمان يا شيخ
ما يحلى الزاد الا صاحبه قدم وكل انت معنا فاكل الشيخ عوف
وعثمان والامير بيبرس وهم ينظرون له بالاعيان وقد اخذهم
الخوف والفزع والهلع والجزع وبعد ان اكتفوا من الطعام
اخذ عثمان القصعه وفرغ الباقي في طرف البرنس وعلق القصعه
من حلقتها في طرف الرزه ولفها على كتفه ونهض سمده
وغسل يده وركب جواده ومشى عثمان بعده وهم ينظرون

اليه ولا يقدرون ان يكلموه ولا يلتفتون عليه ولما ابعد قليلا
عنهم اقبلوا الى الشيخ عوف وقالوا له نحن في عرضك والتجئنا
وعلى يديك تائبين فهل معنا جميل وتخلصنا من الشر لانا
حاططين عليها رهن جليل فقال لهم اما قلت لكم انكم تستغنون
عني في اي مكان وبقعه فقالوا له اعمل معروف وخلص لنا القصر
فقال لهم تبتم من افعالكم وما فعلتموه معي من اعمالكم فقالوا له
مالنا الا رضاك وحق ما لك الا نرضاك ونعود ولا نفعل فقال لهم
لعمركم وامكانكم حتى اعود اليكم ثم انه سار خلف الامير حتى
لحقه وقبل في الركاب فخذه وقال له يا سيدي اني عرضك عامي
عند الزيات مرهون لاجل هذه القصبة التي اخذها الاسطى عثمان
فقال له الامير يا عثمان اتق الله الملك الديان بعد ان كلمه
الهدير تاخذ الزبيب فقال له يا اشقر انهم ليسوا هلوا الكثير من
ذلك ولولا خوفي منك لا نزلت بهم المهالك لانهم كانوا مرادهم
يختبروك ولاجل ذلك عزموك واطعموك وما منعهم عنك الا الخوف
مني لما ان نظروني فضحك الامير من قوله وقال لعسله قصبته
ودعه يمضي الى رفقته فاعطاه عثمان القصبه فمادها اليهم
فضربوا بها الارض وذهب بعضهم غيظهم لان الجوع مفرح في قلوبهم
وسلموا القصبة الى الزيات واخذوا ارهنهم وسلموا الفسحه
ما بقوا يامروا الى بولاق على هذا الزمان مادام عثمان بن الحبله
قد عرف هذا المكان ثم عادوا الى قاعتهم وشغلهم (قال الراوي)
فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الامير بيبرس فانه سار
مع عثمان من مكان الى مكان وهو يتفرج على بولاق وما لاق
وبحر الشاطي ولم يزل سايرا هو وعثمان من مكان الى مكان
الى ان اقبل الى سوق السبتيه وكان في وسطها زاويه مبنيه
وعلى بابها تلك الزاويه رجل فقيه وهو جالس يقرا القرآن وهو
يبكي ودموعه مثل الطوفان وقد ازداد بكاه وعظم بلواه
فوقف الامير على حده وجعل يستغيث لربه وهو ينشد

ثم قال لاصحابه قوموا بنا نسمع ما عنده من العجائب

يا ذا الذي بالامس كان معنا * ما الذي ارى ما الذي ما لم تكن
اكلما يجيء يعلم الغيب * بل الكتاب انزل الله يعلم بكن
ثم يجيء من كلام الله الذي * اعطاه نبيه الله ثم ارهبكن
حفظته كتاب الله من صغره * ويسمع جميع الناس تكرمكن
وجاء في هذا الكتوب معجزا * كانت عجيبة في الورق ما لكن
اشكر الله الله اشكر الله احد * لعل الذي بالصفر يرحمكن
ويغفر ما مضى من جهل ومن خطاه * ويالنجاح يرشدني ويستترن
ويقضي من حوائجي ويرسله * الامين دري الاسلام بالحسن
ولو كنت قادرا ارديته كفلها * الا انا عاجز والعين تطلبن
يارب سلمني من كل ذي خطاء * واجبر الرمد في خصمي وانصرن

(قال الراوي) فلما نظر الامير سيف بن الله ذلك الرجل وبكاه وتامله وشكواه رق له قلبه وآلمه غليه فتقدم اليه وسلم عليه وجلس بجانبه وجعل يسليه ويخاطبه وقال له يا شيخ لاي شيء يكون بكاك وحزنك وشكواك وانت رجل اختيار ولك طلعة ووقار ومن اهل كتاب الله تعالى الواحد القهار فقال له ذلك الشيخ يا سيدي واي شيء يعود علة حزني المشكوى وانما انا رفعت امري لمن يعلم السر والنجوى وما انت الا مخلوق مثلي فما اطلعك على باطني ولا على حالي فقال له يا شيخ اعلم ان الله تعالى جعل الحكام في الارض مثل الملح ما يصلح الطعام وهذه الارض التي انت بها يقال لها بولاق المسمية وبها قضاء شرعيه وهي من جملة مصر المحميه لانها موجود فيها اربعة وعشرون محكمة سنيه وكذلك الامور السياسيه تتعلق باغاث الوشاقيه فقال له يا سيدي كيف اعلم ان اغاث الوشاقيه الذي تذكره هو مساعد لخصمي ولم يقهره وان كل شيء له آخر وان خصمي هذا مؤمن في الظاهر وفي الباطن كافر وانا والله يا ولدي رايت اغاث الوشاقيه

عنده مرار يشرب سعه الخمر ليلا ونهارا وقد سمعت من قريبه
ان الله تعالى اهلكه والذى قتله وغلبه هو الذى اخذ
منصبه ولكن اين انا منه ومن يعلمه بى لاننى فقير كما ترانى
وما عندى اموال ولا احكم على عقال ومن شدة ما اصابنى
اسلمت امرى لله تعالى الواحد المتعال فقال له الامير يا شيخ
اخبرنى بقصتك واعلمنى بحالتك وحدثنى بمصيبتك وان
شاء الله يا خذ بيدك وينصرك على من ظلمك وان كنت تظن
فى نفسك انى رجل كذاب وما انا صاحب همه عليه ولا عندى
نخوه ولا حميه فاعلم اننى اغاث الوشاقيه (قال الراوى)
فلما سمع الرجل ذلك نهض على الاقدام وسلم على الامير بحسن
اهتمام فقال له الامير يا ابو يا اجلس مكانك وحدثنى بما
جرالك فقال له يا ولدى لو تملى لى حكاية من العبر لو كتبت برؤس
الابر على اماق البصر او على اوراق الشجر لكانت عبرة لمن
اعتبر وهو انى بليت بقوم لئام غير كرام كانوا لى خدام
والآن صاروا لى اخصام وانت يا ولدى ما الذى تفعله
فى خصمى وهو كافر غبى وانا اشتكيه لربى فقال له الامير
اخبرنى وانا ان شاء الله اخذ ثارك وازيل عنك اضرارك
فقال له اعلم يا ولدى ان لى فى تلك الزاويه اربع وظايف املوها
واوقدها واكنسها وأم بمن يأتى ويصلى فيها ولى فى تطهير
الهمل كل شهر اربع قروش اقبضهم كل شهر يهل من مطبخ
العسل من رجل يهودى يقال له عزار وهو ملتزم العسل
والسكر الذى للملك الصالح ايوب فلما ان كان ذلك النهار
اتيت على حسب عادتى وجلست على باب زاويتى فاتانى
ولدى وقال لى يا ابى هذا النهار قد وضعت امى غلام له
شامه مثل الورد وسميناه محمد فقلت على خيرة الله تعالى
الخالق الاحمد فقال لى يا ابى قم الآن وهات الفاس
فقمت وسرت الى عزار اليهودى وقلت له يا معلم عزار

اصطفيني ابنة الشهرين الذي عندك ثمانية عروش فان الزوجه
وضعت مراري نفاسها وقضاء مصالحها فقال لي وايش وضعت
زوجتك يا مسلم هل جاءت بانثى او بذكر فقلت له رزقني ربي ولدا
ذكرا بادن الله خالق البشر فقال لي وما سميته فقلت سميته محمد
على اسم النبي الاتجد صلى الله عليه وسلم فلما سمع كلامي زاد
غيظه وحنقني وجعل يقبلني ويضمني ويبكي وقال يا مسلم انا اكره
هذا الاسم وصاحبه وانت لم رايت اسم غير هذا الاسم الذي
اكرهه حتى تسمي ولدك به فكنت تسميه موسى او ابراهيم او
يوسف او يعقوب فقلت له يا صاحبي ان هذا الاسم اشرف الاسما
عند الاسلام وانت ما يخصك في ذلك شيء من الاحكام يا مصطفى
ما عندك والسلام فقال لي يا مسلم انك لم تغير اسمه فلا اسلمك
شيء ابدا وقد زاد في الحنق وشتمه فقلت له يا معلم اصطفى اسرع
وعجني اصنعني الى اصلاح امر زوجتي فشرعت بالكف على عجن
وطرق بعد ان اصنعني وصببتي وانا اقرا القرآن كما اذن لي فلما
فرغت من عجنه وطرقه قال لي اصنعني الذي كنت قد فرغت من
ما اصطلحك ولا تبدل تخربشه من قدامه بالكف اسرع من الطلب
وهو الطلبان سمعت انه يقول يا رب وانزل ايكي واطلب طلبة
ذنبي من ربي حتى اتيته انته المصطفى وما شئت من ما لي
فاخبرتك بالخبر الى رفال لي اوعى فلما سمع من الشيخ ذلك
الكلام صار الدنيا في وجهه ظلام وانعم عليه ما شفت ما عليه من
شدة وصياح واعتمان فاخذ اليد وقال له ما تريد يا شاب
فقال له اريد ان ارقى سطح المسجد حتى اخاطر لشيخي مصطفى
حقه مما قد دعى عليه وظلمه فقال عمران هو انت تطلع
من اربابها حتى انك تمضي الى اصحابها ظلمك انت وانا اعرف
وانت شاب مسكين فقال له عمران لا بد لي من الرقي حتى
يظهر الحق والا يصلح فقال عمران طاوعني ولا تروح وانا اعرف
حق ذاك هذا رجل عنده وفاء ستر ذلك فان كان ولا بد من

ذلك فاسترح انت وانا ادبر الك فقال له يا عثمان لا يصح انك
تروح وانا اقعد ولا اروح فابيا كما قالوا في الامثال جحد ما
ساعد على الغريم شيخ قادر وقد وهو مقيم فقال عثمان سمعا
وانا اوريك القبيح وسوف تنظر بعينك يا خذ بتار هذا الشيخ
المسكين ان كان انا او انت يا اشقر ثم سار صنان وبينهم من المسا
افة وصلوا الى سطيح السمل ووقف عثمان المربعي ينظر ويتامل
(قال الراوي) فاقبل الامير بيبرس على اليهودي فراه جالسا
على سجادة وبين يديه بطاسة ملانة حسل قطر تناول وهو
ياكل منها فقال الامير صباح الخير ايها المعلم فقال صباح النور
عليك يا سيد المعلم تفضل الى جانبي ثم قرب له فجلس
الامير الى جانبه وجعل يحادثه ويداعبه ثم قال له يا معلم
قد جئتك في حاجة واردت منك قضاها بغير كلفة فقال
له الف حاجة اقضيها لك والف الف مرحبا بك فاذكر لي ما تريد
فقال له اريد منك ان تعطي هذا الرجل المسكين اجرة الشهر من
الثمانية عشر الاجل خاطري لانه معذور في ذلك فقال للاجل
خاطرك اعطيه عشرة بدل الثمانية ولكن انا الآخر جئتك
بمراد لك حاجة فقال بيبرس وما هي الحاجة فقال له اريد لك
الآن تطلع معي الى القلعة وانا ساعة وتشاهدني وتقضي بعض
المدام حتى يطيب قلبي ولو بجرعة واحدة من ذلك
وتكون صاحبي ورفيقي وذلك ما يسر خاطرك واطمئنان
كلما تتاج اليه من الدراهم والاموال والعسكر والخلود وغير
ذلك وتبلغ المرام (قال الراوي) فلما سمع الامير ذلك
الكلام الخبيث امتزج بالقضب وعبس وجهه وتطاسب
وقال له يا معلم انا سالتك انك تعطي للرجل ماله من المال
والا انت تجاوبني بكلام الضلال ولا تخاف من الله تعالى
الواحد المتعال فقال اليهودي حاجته قضاء حاجته ولا يكون
منك ولا مني لياجه وان لم تقضي لي حاجتي فانا الآخر اسير

اقضي ما جئتك وما تكون انت اعز مني فقال له الامير هذا
حقه فقال اليهودي هذا شيء لم اعرفه وانما عادتي استحلته
فلما سمع الدرلتلي ذلك الكلام اخذه الصياح وظهرت له
سبع جنديات بين عينيه ملكته من اذنيه وظهرت له
شعرة اسد بين حواجبه وامتلأ بالغضب حتى اذا رات الخاصل
فتح حلقها واذا رات الخيل يبولون الدما ويرد الملت الدمشقي
وضرب به اليهودي على امر راسه اخذ انفاسه وطرطش دمه
منه وانفلقت راسه فلقتين ووقع على الارض قطعتين
وراه عثمان قد فعل باليهودي ذلك الفعال فاخذ الزهر من
الناظر في الحال ضرب زايدة الاعوال فاسقاه بها الفعال
وقد فلق راسه واخذ انفاسه فقال له الامير سير ما
ما هذه الفعال يا عثمان فقال عثمان انا راجل وانت راجل
فقال له هذا قتلته انا فهو رجل يهودي فقال عثمان
ايش خبرك عنه فاهو الا ابن عمه فقال له الامير هذا
كافر وقد زاد في الظلم والفسق وانا قتلته بوجه الحق
فقال عثمان وهذا افضل منه وافسق وانه رفيقه وصديقه
وانا ما قتلته الا لما رايته قتلت هذا اليهودي وقد عرفت
انه مثله وما فيهم احد يتخير عن الآخر فقال بيرس شرع
الله من قتل يقتل ولا اجراه ولا اهمل فقال عثمان لما يسقوا
يسقوك انت اولا يسقوا يسقوني ثانيا فقال انا الذي
قتلته يهودي معلم واما الذي قتلته انت فهو مسلم فقالت
الشفالين واهل المطبخ اعلم ان الناظر الذي قتله عثمان
افسق من اليهودي عزار الخوان والاثنين مستقيمين
على الكبائر والضلال والبهتان وكان هذا هو الذي
حلب اليه النساء والصبيان ونحن نشهد كلنا بذلك
الشان فقال الامير اذا طلبكم القاضي تشهدون قالوا
حتى نشهد بين يدين السلطان وبين يدين الله الملك

الديان وقد عرفنا ان عزاب اليهودي على دين اليهود وهذا
لا دين له ولا مذهب وما هو الا يسبي الاشراف ويستحل
الاحرار والجيد الذي اراحنا من شره وعزاله الله
فقال الامير باعتمان اريد انك تاتيني بهذا الشخص
التي يسوء لاق حتى اني اكتبه حتى على سؤاله الرباني باعتمان
يبقى معنا سلاح فقال يد عند السلطان نسلمه منها
باعتمان فقال عتمان الناقص ربنا واذا كنا نا سيلانا شر
القاسي تكون بالف خير من الله تعالى فقال الامير
هذا وقد سار عتمان في قضاء حاجة سيده وكان هذا الشخص
الذي يسوء لاق من مدة ايام شرير عتمان عليه واخذ
عماسته بجبهته ومن شدة الضرب لزم بيته مدة
شهرين ولا انفاق على نفسه الا في هذين اليومين
فقال في نفسه ما لي الا انزل الى المحكمة لعل الله تعالى
يعوضني على عماستي ويرزقني برزق جديد ويخلف علي
بعين وهذا انها رسعيد شهرانز قام على حيله ولبس
بدلته ووضع على راسه مقلته واخذ سبحته وكتبه
خلته وسار قاصد محكمته ولما وصل الباب سال عن
الرسام والشهود وفكتابه واخبروه بخبرهما فدخل
وقعد الشيخ وشرع قدامه المستدعي وراتبا عنه من حوالي
بقضاياهم النهار ولم يات اليه احد من الرجال ولا من
النساء فقال الشيخ هذا شيء يطول الشرح فيه وما عرف
مقاصدهم ثم نظر الى رجلين واقفين قبال المحكمة وهم
يشاورون بعضهم بعضا ويشيرون بايديهم ويدورون فقال للرسول
اذهب بسرعة الى هذين فاتوا بهما اليه فقال لهم فراى
شيخا يشاورون ويشيرون بايديهم الينا فقالوا له
اذهب ولا تبالي بالشيخ الا سلام وانما نحن نتذاكر في اشغالنا

وما تفعله من حسنا عندنا ونحن تجارين وبيننا حسابات تخص
شغالنا ونحن فيها متذاكرين فقال لا عدهم قل والله العظيم
قولي ما هم على القاضي ورجاله فحلف الرجل له وقال مثل مقاله
وكذلك حلف الثاني فحلف الآخر بلا توانى فقال لهما الآن بقي
عليكما كل واحد درهمان تحصيل الايمان فقالوا له يا مولانا انت
الذي حلفتنا ونحن ما اتينا اليك بامر قابل انت الذي طلبتنا
فقال لهما لا بد من ذلك فدفع كل واحد منهما درهمان وطلع من
عنده وهو غضبان ويقول الله ينكد عليك يا قاضي في ذلك
النهار ويبليك بالاضرار والاشرار كما ظلمتنا بغير اختيار
ثم انهم سارروا وهم مغاظين والى اشغالهم طالبين فقال
القاضي لرجاله وبعد اقامتنا هنا بلا فائده اطلعوا الى
حارات بولاق وشقوا في الاسواق عسى ان يدبر لنا ربنا
ارزاق فساروا القصد الى الاطلال والربوع وهم ينادون
ويقولون يا طالبه الرسول يا عاوزه الرسول قال وقد سمعتهم
امراة من بيتها فظنت ان هذا رجل يبيع غاسول فصاحت
عليه يا شيخ يا بياع الغاسول فقال لها قبح الله ذا الملك
انا ما معي غاسول وانما انا رجل قاصد من عند القاضي
ورسول فان كنتي تشتاجري مع زوجك او يكون هو شتك
او سبك او ضربك او طلقك فانزلي معنا الى القاضي واطلبيه
ونحن ناتي بها الى القاضي وهو يقتص منه ويقاضيه فلما
سمعت المراة كلامه قالت له طلقت بطلاقك عليك ولا رجعك
الله لا انت ولا والديك كما بشرت علي بالطلاق اذهب قبل
ما انزل اليك واقع منك الاحداق فتركها وسار من اول
حارة بولاق الى آخرها فعاد الى المحكمه بغير فايده وكذلك
باقي الرسل فاقاموا عند القاضي وهم على تلك الحالة
الفاسده (قال الراوي) فبينما هم كذلك واذا برزة
عثمان تقرع في باب المحكمه فقال القاضي الايام النيره

من الغير ظاهر هذا وعثمان يقول وبيمين يا سيدى
احكم كما تهوى حكم نصار * وكما هو بهبة كلبه يا مولاى دار
يا من على محن هذه مسرجه زنار * تتلقى غدر يا بو خطه فولحار
السلام عليكم يا قاضى الاسلام فقال القاضى اهلا وسهلا
بالاسطا عثمان ابو عياق مصر والشام وقد انتفض القاضى
لما نظر الى عثمان فارتعدت جثته وتقلقت تحصيته وقلع من
على راسه مقلته وقال له يا اسطا مذ عما حتى صنى من غير
ان تقضى بنى لا بنى والله من تلك المده وانا مريض فى بيتى
فى غاية الاضرار وما نزلت الا فى ذلك النهار فقال عثمان
يا سيدنا افاتيت واتفقت على مقام السيده ام البيت
فقال له ان التربه لم تنتفض من فردة تخذ هذه وتوجب
بعدها مرة اخرى فقال عثمان يا سيدنا انا مرادى فى دعوه وقصدى
قضاها وهى تخصك من دون الناس فقال له على العين والراس
اذا عملت لك الباطل حق والبهتان صدق ولا لك الا ما يسر خاطرك
حتى سمعوا ان تبعد هذه الوزه عنى فقال له عثمان يا سيدنا لك
الامان ولكن يا مولانا عليك بالحق واستعمل الصدق ولا تخشى
ملوم ولا تاخذك فى الحق لومة لوام واعلم ان كما ذكرت لك تايب على
سيدتى السيده صاحبة الانوار والمقام ولك ان شاء الله غاية
الاكرام فقال القاضى سمعا وطاعه فقال عثمان هيا عزل المحكمه انت
وربنا الله ثم تقدم عثمان وعقد البريد والفلقه وحملهم لاحد الرسل
وحمل الدكك كل اثنين واحده وكذلك الحصر والبساط والفراش
والمخدات وحمل المكتب والسندوق لباس كاتب وظن القاضى ان
عثمان اكرمه لانه الى حمل شئ ما قدمه فقال عثمان يا شيخ انت رجل
كبير ولك الاكرام والتوقير فلا تشيل شئ غير هذه الحمله والزير
لانه فيه ماء كثير فقال له يا اسطا نحن بجانب البحر الكبير فقال عثمان
ربما ان احدا يعتريه العطش فلا يلحق ان يمضى الى البحر فيكون هذا
له اقرب ولجد فنا نفتش (قال الراوى) ثم ان عثمان ربط له

الزبير الاموال وربط المال ايضا بحمل وحملهم الى القاضي وقال له سير
الى مطبخ الفسل فسار الشيخ وهو حامل الزبير وهو يمن بر من شدة
ثقل المياه والمسير والناس ينظرون اليه ويضحكون عليه ويتكلمون
في حقه وبعضهم يقول هذا يستاهل كسر حقه لانه في الشهر الماضي
ظلمنا وعلى المحصول قد حبسنا وقال آخر وانا قد طلق زوجتي مني
وقال آخر هذا ما يصلح له الا ان يشنقوه او يانوا به الى ساحل البحر
ويغرقوه هذا والقاضي ساير والرسل معه بهذه الاشاير وعثمان
وراهم على عجل الى ان اقبلوا الى مطبخ الفسل فتامل الامير بيبرس
فراى القاضي مقبل وخلفه الرسل بهذه الشغل فقال الامير لاحول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال يا عثمان انا قلت لك تاتي
برجل نايب من طرفه يكتب لنا حجه بكل ما يسمع وصفه والا قلت
لك هات الحكمه كلها بفرشها وجريدها وما وما وزيرها فقال
عثمان لا يصح الا اذا كان بحضور الجميع لاجل ان يكونوا شاهدين
ولما جرا ناظرين وهم على دكهم جالسين فقال له والله ما كان
يلزم لهذا كله فقال لبيبرس يا اشقر والله ولا شيء الا وقد نفع
فاطلب منهم الآن ما انت طالبه فكل منهم يحرر ويكتب وانا
ارجعهم مثل ما جيتهم ولا تحمل همّ الشيلوت فهم يشيلوها
كما انوا بها الى تلك الجهات فقال له الامير الله يعاونك
يا فعالك فانت الاظلم في كل احوالك فقال الراوي ثم
ان الامير بيبرس اقبل الى القاضي وقال له يا سيدنا ان عثمان
هذا رجل باهل فسامحه من تلك الفعايل فقال له القاضي حاضر
الا رجل خفيف وفعاله على قلبي مثل الهافيه اذا انت لبدته
الضعيف وهل احد في الدنيا ينقاظ من الاسطا عثمان
ففهم الامير بيبرس معنى هذا الكلام ثم قال الامير يا مولانا
اعلم ان هذا الرجل رجل شريف من حمله كتاب الله تعالى وله
اجرة خدمته في الجامع وهو محمول بها على هذا اليهودي فاقبل
اليه يطلبها فضربه على وجهه واذاه وسبه فاشتكى لك

وانا اغاث الوشاقه فاتيت اليه وقلت له اعطني الرجل حتى
فطلب مني الفساد فقتلته وعثمان كان واقف فضرب الناظر
برزته اعدمه مهجته فاردت ان اقتل عثمان فمنعوني اهل المطبخ
وقالوا لي ان المقتول هذا كافر من اهل البهتان وهو يأتي لليهودي
بالنساء والصبيان ويشرب معه الخمر في كل اوان وبيبع الاحرار
ويعمل فعال الاشرار فارسلت اليك لاجل ان تسمع مقالهم وقال
ايضا الجيران وتكتب حجه بما تسمعه من الفاظهم فانظر الى الامور
الشرعيه فان ثبت القتل على عثمان قتلته بيدي دون البريه
فقال عثمان ان حكم علي بالموت ادعيه منبوطي هذا والا مير
يضحك من قوله سرا والقاضي جلس وقد احضر واحدا بعد
الشغاله وساله وكتب اسمه وسؤاله وامر بالثاني فاخذ قوله
بدوانه ولم يزل يسال واحد بعد واحد حتى سأل اهل المطبخ
الجميع وكذلك الجيران الرفيع والوضيع وقال القاضي ان
اليهودي يستحق القتل من وجهين الوجه الاول ضربه الكف
الى المسلم التالي لكتاب الله والوجه الثاني طلبه الفساد واللواط
من كل من رآه واما هذا الناظر فكان قتله اولا خطا من عثمان
وكان بالشرع يقتل فيه ويهان لانه تعمد قتله من غير ان يعرف
ذنبه وفعله ولكن حيث شهدت الانام المعاشرين له وبين انه
بفسوقه وهوانه وكفره والفاظه لسانه فقد اصاب عثمان في
قتله ولا انقام عليه دعوه من اجله ثم ختمها القاضي بختمه
وسلمها للامير فوضعها في جيبه ثم ان الامير اعطى القاضي
عشرين دينار واعطى الرسل والاتباع كل واحد منهم
دينار والتفت الى الشيخ الاصلي واعطاه مائة دينار وقال
له يا شيخ سير من هاهنا ونفس زوجتك واسرع الى شيخ
الاسلام واخبره بدعوتك وتامره غداة غدان يطلع الديوان
وان تاخرت عن ذلك ارسلت اليك عثمان فاخذ الرجل الدراهم
وسار ودعا للامير سرا واجهارا ومضى يطلب الدار وقال

الراوي

[illegible] فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الامير بيبرس فانه
[illegible] لعثمان وقال له اعلم ان الذي قتلته انا فهو يهودي والآخر
[illegible] الكبر والصيد بالصيد فما بقي ينجيك الان تنكر القتل
[illegible] لا تقل صعتدي ولو انه كافر او فاسق ما لك عليه ان تقتله
[illegible] ثم اخرج الى ولي الامر فانا سأتكلم عنك في ذلك فانكر ولا تقر
[illegible] من الامر واذا انكرت يكون علي تمام الحكم فقال عثمان ولاي
[illegible] انكر ايها الشاهد وانت الحاكم وانا اقول ما تقولش انت اولا والسلام
[illegible] فقال له بيبرس هذا الذي عليك ثم سار الامير وعثمان بفضل الخير
[illegible] والاحسان واكثر شكره بالجميل الذي تحررت به هذه الشان وجعل يوصي
[illegible] بعثمان وما هان عليه عثمان لانه رجل ثابت الجنان عند الملمات الشقال
[illegible] وله حلب كان يرسل عن صخر الجبال وانه يقضي له جميع ما شاء فلما
[illegible] بلغه ذلك ولم يزالوا سايرين الى ان اقبلوا الى منزلة العزيز جمع الدين
[illegible] فيها وجلسوا هنالك برهة ثم ان عثمان تعالج بالباري وقال
[illegible] الباري هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك الصالح نجم
[illegible] الدين ايوب بن الملك الكامل فانه لما وصل ذلك البحر وصل به
[illegible] الى المنيرة ودخل صاحة الاستراحة وقرأ برده وذكر الله الماء
[illegible] الصابر ودخل اليه الاغا جوهر الصالحي وقدم اليه وسلم عليه
[illegible] وجعل يقول له هذه الابيات

فتوح الخير ذكرك والعباده * ورسم المشيئة والاراده
فيا ملك الملوك الاسلام جهدا * ادام الله فضلك بازديده
فقم يا صاحب الرايات انظر * مقاتلك وارتقها ملك والسياده
فديرانك تكامل بالاسرا * ولا تحتاج الا للسياده
فشمر فيه بخطوات فطاشت * فانت الحاكم يثبت بالشهاده
(قال الراوي) ثم قال له يا امير المؤمنين الديوان تكامل بالحبين
وما بقي يحتاج الا تشريفك امير المؤمنين فقال السلطان
وعلى ذلك الكمال ثم نهض وقام الى الديوان وابتدا المرقا بالسنه
اليه فرفا بابه بالخريطة الشريفه ثم جلس على التخت وقرأ

الفاتحة ام الكتاب واحدا بعد الفي وجمع الخبي والاصحاب شهرا في رجع
من تقدم قبله من الملوك وقد رأى الديوان والناس في غاية الامان
وقد قرأ المقرئ وختم وكذلك الدعي دعا وختم وامنت العساكر
من تركي ومن عربي ومن ديلم ومن عجمي وصاح البهاريش يقول
قم يا بن آدم لحراب الصمد صلي * وهم وزكي فان الله محتلي
وحده انما ليس له ما شل * فهو مولى على كل متحلي
سبحان من يعلم ما في القلوب * يضع ويرفع ويعزل ويولي
(قال الراوي) فقال الملك الصالح آمنا وعلى الله توكلنا واليه
انبنا يا شيخ شاهين انت حاجب بيت الله فاحكم بما يرضي الله وقوى
عزم الاسلام على الكفر اللئام واعلم ان كل شئ له اسباب
واقدار والمثل يقول ما يخرج الزيت الا المعصار والله يا شاهين
ابن سعيد قوى وشاطر ترى واما رفيقه الذي صار الآن معاه
حاله بطيش الا وهو وياه فقال الوزير من هم هؤلاء يا ملك السلاد
فقال له انت كني يا شاهين لا تكثر على كلامك انا رجل فاني اقول
كلما جاء على لساني فلا تلتفت لعيبي ولا لنقصاني فسبحان من
خلقني وسواني ولكن يا شاهين ان الرجل هذا جرح يداي وهو ياتي
بالغوص من النخلة الوجه وهو يابس علي وان الرجل اجتمع
على الرجل وسار معه في كل المنازل واذا فعل شئ يكون الاخر
مثله فاعل واذا سأله يقول له انا راجل وانت راجل ولكن
يا شيخ شاهين هذا نهار سعيد وطالعه مفيد فقال الوزير اللهم
اكفنا شره وارنا خيره قال فبينما الملك الصالح يدندن ويتكلم
وبيرهن واذا بابوتين داخلين من باب الديوان ومعهم رجال
يهود واسلام فقال السلطان الله يا دايم القرافجاءت هنا
فقالوا له تعيش راس مولانا السلطان في عزاير اليهود قد
ملتزم مطبخ العسل وامين اغا الناظر الذي كان يضرب به
المثل فقال الملك الصالح الملعنة الله تعالى انهم الا يهود
اينما ثقفوا قتلوا فقالوا له قد قتلوا عدوان بغير ذنب

كان

كان فقال الملك ومن قتلهم فقال له اغاث الوشاقيه وغلامه
عثمان بن الحبله صاحب الرزه المسميه فقال الملك اغاث
الوشاقيه سيفه مطلوق وما قتل اليهودى الا وقد علم بانه
محقوق ولاى شئ عثمان قتل الآخر وهم يزعمون انه من اهل
الايمان يا حج شاهين هل طابت لهؤلاء الدنيا ام دوران الحق
على غطاه حتى رآه وهذا الولد ما اثاث بيت حج الدين البندقدارى
وهو يفعل فعاله ويكون مقدارى فارايك فى ذلك يا وزير
الزمان هل نظلمه ونقيم الاحكام والا ننزل هذه الدعوه
ويمضوا اصحابها الى جهنم والسلام هنالك تحرك القاضى
من مكانه وبخ طيلسانه وهز ديباجه وقال تحركوا يا اجنادى
يا ساكنين العراق يا اهل الآفاق احضروا يا عراقيون يا عدون
على هذا المفتون وقال القاضى يا امير المؤمنين انا اكرا قول
لك القول امرار واعيده لك سرا واجهارا واقول لك ان
هذا الغلام قد اقبل سنه ارذل الاعجام يريد ان يفنى الامم
وانت ملك معظم ارتضى يا ملك الاسلام ان ولد مثل هذا
الغلام يفسد الملك والانام وانت كلما سمعت قولى تكذبنى
ولا تصدقنى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا ملك
الاسلام اتاذن لى ان اتكلم الكلمة الحسنا التى لم يكن فيها
سيئة قط ام اسقط فان السكوت فيه سر مشبوت فقال له
الملك يا قاضى كلما جا منك فيه انتفاع لهذا الفقير المرتاع
فتكلم فنحن لقولك فى استماع الله يبيض وجهك يا قاضى
فقال القاضى هذا ببركة الصلاة والعبادات وان هذا الولد
يقتل هو وخادمه قتلة لا حياة بعدها لانهما اثنين قتلوا
اثنين وان قلت يتفاوت ذلك لاجل الدين فالكافر لا يقتل
الا اذا كان بين المحاربين واما اذا كان يؤدى الدية فلا يجوز
قتله بالكليه واما الثانى فهو مسلم مصلى سنوى سنى
وانا اعرف لانه رجل كان من اهل الخير فيقتلا الاثنين

لا يبرحن له حتى يأتيه بجوابه الا هو فى وانا اطلع انبطه
وافاق واستيقظ فاخبره فقال له اخرس يا قليل الادب فقال
له اذا وصلت اليه فقل له الاسطا يسلم عليك ويقول لك
اترك هذه الدعوة فانها فارغة ولا تتمسخن اسكت فقال له
يا راجل بلا كلام وعليك بالتكران كما علمتك فقال له سمعا وطاعة
ثم ركب الامير مع الوزير وتوا سايرين الى الديوان وصار الامير
بيبرس الى الديوان وقد خدم وترجم واحسن ما به تكلم وانشد يقول
لا بلغت عداك فيك مرادهم * كلا ولا يصلوا اليك بمكرهم
وارهبك الله نصرا دائما * وزد كيد الاعادى فى نحورهم
(قال الراوى) فقال الملك بسم الله ماشاء الله كان اللهم
عمر بك الارض والبلاد اللهم انصرك على اهل الفساد اللهم
اهلك بك الاضداد ثم صاح الملك يقول
يا حق انت الحق اظهر الحق واعلى كلمته واخفض الباطل واقل
قيمته يا ولدى عليك بالحق والاقبال واجبنى على مقالى اخبرنى
لاى شئ قتلت هذين الرجلين فقال له يا ملك الاسلام انا
قتلت اليهودى وحكمت حجة من القاضى بشهادة المؤمنين
اهل بولاق بكل ما جرا من هذا اليهودى من الشقاق وانه ضرب
رجل شريف بالكف على وجهه واكل حقه واما عليه القصة
واما الثانى فاقتلته فقال الملك هات الحجة فاعطاها اياه فقراها
القاضى وقال يا امير المؤمنين من الذى يقدر يخالف بيبرس اذا قال
اشهدوا فكل من خالفه يصير خصمه وان القاتل يقتل لا سيما اذا اقر
بلسانه فقال الملك اصبر يا قاضى حتى انظر من قتل الثانى فقال سرا
له اهله قتله عثمان بن الحبله فقال له ها هو حاضر فى حوش
الديوان فقال له ائتينى به حتى اراه واسمع قوله وافهم معناه
فنزل الامير الى عثمان فراه واقف يلعب مع الحصان ولا عنده خبر
من ذلك الشان فقال له يا عثمان ان الملك قد طلبك لاجل هذه
الدعوة فقال له والله انه مشوش ايش يخرج من يده انا اكتر

منه فقال له اذا سالك انكر وقل له لا قتلت ولا شفعت ولا رايت
ولا عندى خبر من ذلك ابدا فقال له سمعا وطاعة اسير مسلك واذكر
قولك ثم سار الامير ومعه عثمان الى ان اقبل عثمان الى باب
الديوان وضرب الوزه وقال

احبكم كلما نهق حمار فى بيته * اوكلما هبهبت جرزه على اعلاد حيط
يا من على محن خده مسك وعنبر زيت * قتلتنى يا ابو مخطره محيط
صباح الخير عليك يا ابو جوطه الفاتحه منا فى صبايفك وضايف
الاسطبل الذى ربا صفرك وعلمك ضربه الكفه واكد يده
فقال القاضى الملك سايس يا محروت قال الملك والسايس
مالهم يا قاضى رضى الله عن الشهر سايس الامام على فقال
عثمان صباح الخير عليك يا ابو فرمه صباح الخير عليك يا نيلك
يا عين القطا الاقليط قال ايبك مرض يقلط عقلك فقال له
عثمان اخيه عليك يا قاضى يا منقرش يا ابن الكاره الفضله
الفسيقه التى يعرفها ابو قوطه صباح الخير عليكم من الطاقه
للطاقه ومن المدفه للشبوره فقال الملك يا قاضى عمرى ما سمعت
مثل هذا اللفظ ابدا وما معنى قوله يا منقرش قال القاضى كانت
نظرى وانا صغير فى الحمام وانا عيان بالجدرياه فمن تلك المده سمان
منقرش فقال عثمان بلوكيا يبر اجول يا ابو جوطه فقال له الملك
اسكت يا عثمان من استعجل على شئ قبل اوانه عوقب بحرمانه
كن من الاحرار كاتمين الاسرار ولا تكن من كاشفين الاستار
ثم قال الملك يا قاضى حادى امرك فان الرجل يكشف القطا ولا
يبالى فقال القاضى عثمان بن الحيله رجل صالح فقال الملك
ولاى شئ يا عثمان قتلت هذا الرجل وهو مسلم من اهل الايمان
فقال عثمان عز الله جل الله ما فى الكون الا الله يقول معى
يا ابو جوطه لا اله الا الله فقال الوزير ها هو ناوى يذكر هجر
جل الله وقال الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قال عثمان
سمعنا ابو لاج راينا راجل فجى جاعد يبكى سماله الجندى احكى

لها ان اليهودي ضربه لما طلب اجرته راح له الجندي وقال له اعطيه
سيفه قال له سليحي اخشك ضربه بالمدسشن بقبقه وانا الآخر
ضربته الناظر بالرزه مره دميته سلقي على الغبره ثم صالحنا الشيخ
واعطاه للجندي كام ميدي صفر فقال له لا اي شئ قتلت الناظر
وهو مسلم قلت له ايش خبرك عنه هو ابن عمه قال لي قول لا شفت
ولا رايت ولا قتلت ولا تعديت وانا لا شفت ولا رايت فقال القاضي
اقرارك من لسانك لا عذر لمن اقر وهذا رجل شريف مضيف ولا يجوز
قتله في اي مذهب فقال الملك اصبر يا قاضي ولا تغضب ثم ان
الملك صاح يا دايم واشار بيده واذا بالفقي طالع بنقيب الاشراف
واولاد مطبخ المعسل وشيخ الجامع الازهر والعلما الاعيان
فقال الملك ما الخبر فقالوا له اعلم يا ملك الاسلام ان المؤذن
طبعا يقتل شرعا وان هذا الذي قتله بيبرس نعلم انه يهودي
واما هذا الناظر الذي قتله عثمان ما احد يعرف له دين من
الاديان وانما اشر خلق الله ومؤذي لعباد الله فقال الملك
ان الذي لم يعرف له استقامه يكون كثير الفسق والملامه
وقولكم هذا يدل على ان هذا الرجل ما هو شريف ولا له دين
ولا تعتقدونه ولكن قبل كل شئ قصر يا قاضي اكشف لنا عليه
قبل ان نبت الحكم على قتله فقام القاضي ومد يده واذا به
اغلفه فقال القاضي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا
نصراني لئيم وما هو شريف ولا كريم وانا برئ منه يا امير
المؤمنين فقال الملك لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان
من يعلم بالاسرار هيا بنا الى قبور الكفار فقال القاضي
الصواب حرقها بالنار فقال الملك افعلوا بها ما قاله القاضي
من الاخبار فقالت اليهود نحن ناخذ ميتنا وندفع الف دينار
فقالوا لهم اهل الناظر ونحن ايضا ندفع الف دينار فدفعوا الاموال
واخذوا الرمم ونزلوا في الحال وكذلك نزلت العلما والاشراف
وانفض الجمع بالانصراف فقال الملك يا قاضي هذه واقعة

عليه واصورا شرعيه صحيحه ولكن ياقاضي انت وفقت هذا المال
على قتل بيبرس وحتمان قرق واقتدار والا على بيانة الحق والخلاد
الباطل باصدق اخبار فقال القاضي بحجج شفيف لاظهار
الحق من المحال فقال الملك الحق ما معظم والباطل ذهب واندثر
بقي هذا المال لمن ياقاضي قال بقي لبيت المال فقال الملك وانا
اوهبت جميع ذلك المتاع والخيل والمال الى الامير بيبرس حتى
ينتفع به على كل حال فقال ليبك الفاتحه الى روح المال (قال
الراوي) ثم ان الملك التفت الى الوزير وقال له هذا المطبخ
ماصر ملكي قال نعم ولكن الملتزم بريكون ملتزما على بنها العسل
فقال الملك لبسه قفطان وولبه على بنها العسل في ذلك الوقت
فنادى واكتب له حجه تكون له اقطاعا بغير مال فاحضر الوزير
القفطان وقال له البس انت ملتزم بنها العسل وملتزم بعسكر
السلطان فلبس القفطان ودعا للسلطان واخذ الحجه بالامانه
ونزل من الديوان وهو فرحان (قال الراوي) وكانت بنها العسل
مع الوزير نجم الدين البندقداري ولما ان نزل الامير بيبرس من
الديوان قال له الوزير نجم الدين يا ولدي انا وانت على حد سوى
فقال له يا وزير الزمان انا اكون على الزراعه والاشغال بالاجتهاد
وانت لك كل ما سهل الله من الايراد باسياده يا اجواد صلوا على
زين العباد وانا سراعلى مثل ذلك يا ملك يقيني قال فبينما هم
كذلك واذا بمشيره من الفلاحين اتوا الى بيت الوزير نجم الدين
وهم وجل كبير وقد علاه الهم والتفكير وهو مكتف اليدين باكي
العينين وهم كتاب فقال لهم الامير بيبرس ما بيش انتم قالوا
نحن جيين من بنها العسل اتينا الى الوزير نجم الدين وهذا كتاب
من المعلم سرحان شيخ البلد وصاحب الزراعه وهو المتكلم على
الجماعه فقال لهم سرحان انها قد صارت في المنام هذا الاشقر فاعطوه
الكتاب وهو يفعل لكم ما اراد ثم من الاسباب فاعطوه الكتاب
ففضه الامير بدهاه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه خطابا من

المعلم

الرحيم سبحانك من دبابة سلم بها النمسل الى العرش بجم الدين
الواصل بكم العلم شرف الدين معلم بها القديم واثر ربها من اهل
انعقاد له وحسن ادب النفس والمال واسمعني عليها الفاضلين
من الاشغال واسمعني عشرة اشياء من اهل بها الاحياء بشهادة
شيخ الرجال الذين هم مثل حسنا رحمهم الله ورضي عنه واسمه كمص
مال السلطان رحمه ارسلها اليك وهو اذا قتله على يديك وانت
طالب كم سرحين الطاهرية والشيخ نظير ذلك الشيخ محمد بن
عبد الصمد برفقة حاملين الكتاب بشرط ان تريحنا منهم ام
لا منفصل قوم لنام وطفت اوله حرايجنا عند ذلك والسلام (قال
الراوي) فلما قرأ الامير الكتاب وفهم الخطاب امر بحبس شرف الدين
ثم صلبه على الاسطبل عشرة ايام فاخذه وحبسه وانتظر الامير الى
الفلاحين واخذ منهم المال وقال للصرخدي انتم ترد الجواب وسيروا
الى حضرة المعلم سريعا وسلموا عليه وقولوا له ان شاء الله تصل اليه
كلما يراشرت فقال الرجل سمعا وطاعة وسار حتى اتى بيت الشيخ
الصالح فقال يوصل السلام لحضرة سيدنا وقال له ما قال الامير
الشارع وباعطاه الجواب الذين يطالبونه فشكره وقال له ان شاء الله
يتفضل ويرجع باحسان كل همة فقال له اعلم ان هذا امر صعب كذا
من الخير يجعله بالاعتبار وان هذا الرجل من اهل الخير والاستقامة
وبالله ما يحتاج لهذا الامر الذي بشرت به والله قد ظلمه وقد قصد الفساد
لا حول ان يعتاده وبما يتفضل فقال الشيخ اسعد اشيره وانا اعرفه صبي
ولا تحيل حتى اسمع انا قوله واعلمك بالسبب واصله فاجابه الامير
الى ذلك وقال له يا حبذا ان قبل ان تحدثه سمعه مراده انه تاتيني به
حتى اسمع قوله فقال حبذا سمعا وطاعة ثم ان عثمان نزل الى عشرف
الدين وقد اظهر له البكا والانين وصار يقول وال ان عليك يا شرف
الدين فلما سمعه شرف الدين تاثر من ذلك الامر وقال له
ما هذا الجزع الذي فقال له انه الجند حكموا علي بضرب رقبتك واعدام
موجودك فقال شرف الدين لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

انا لله وانا اليه راجعون كل نفس ذائقة الموت ثم انه بكى وانشد
واشتكى وسيجعل ينشد ويقول

رعته صحبي الايام ظلما بجورها * وكم من مثالي اورمته الايتام
فعلت جميلا كان مع غير اهله * خانوا الجميل ولا زموا مسلاهم
وقد ظلموني بغير ذنب بدا * مني وضلوا كل فضل بسرهم
وقالوا عني كلاما قط قلته * واثبتوه بانه من بحكلامهم
وقالوا هذا قاتل النفس عمدا * بزور القول منهم والخصامهم
ولكنني ان مت مت على هدا * شهيدا وربي عالما بمسرهم
واشهد ان الله حقا واحدا * كريم حليم داثر بد وامهم
وان محمدا خير الخلائق كلها * فيارب اشفعني على الاسلامهم

(قال الراوي) فقال له عثمان قم بلا غلبه ولا تكثر كلام فلا شك انك رجل ظالم ابن حرام وقاتل النفس ومشارب الخمر ثم ان عثمان اخذه من السجن وسار به الى ان اوقفه بين يدين الامير بيبرس فتامله الامير واذا به من اهل العقل حزين القلبه فقال الامير يا عثمان ماذا قلت له من الكلام فقال عثمان اسأله انا ما كلمته ولا كلمه واحده اذى عيني هادى عينه ان كنت قلت له الجندى ناوى يضرب رقبتك فقال الامير لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم نهض الامير الى شرف الدين وحل كتافه وهدى روعه وقال له يا ابو يا لا تصدق عثمان في جميع الاقوال وانت يظهر عليك انك من اهل الصلاح والافضال فلا يا خذك فزع ولا جزع ولا ملال وعليك بالصدق في المقال ثم اجلسه الامير الى جانبه وصبر حتى هدى روعه وقال له يا ابو يا شرف الدين انت قتلت عشرة انفار من اشراف البلد الاخيار فقال له لا يخفى ذلك الانفار ولكن كلما قاله عثمان فهو صحيح حيث شهد على بذلك كل رجل مليح (قال الراوي) فلما سمع الامير المقال قال له وقد عرفت الهدى من الضلال عليك الامان فلا تخاف ولا تحزن ولا تسمع قول عثمان فانه هزيان ثم ان

الامير امر باحضار الطعام فاحضروا الخدام فاكل هو واياه
وقال لهم عمان هذا وقد جعلوا يحدثون فقال الامير يا نور يا
انت كنت اولا شيخ على بنها العسل من مدة سنين والناس
يعلمون بذلك اجمعين فاريد ان تعلمني بقصتك من اولها الى
آخرها وعليك بالصدق لان الصدق سفينة النجاه فقال له
وحق من خلق ورزق واماث واحيا واغنا وافقر لا اتكلم الا
بالصدق بين يديك في الحضر فاسمع مقالي وبعد ذلك فافعل
ما تريد من اكرامي او وبالي (قال الراوي) وكان السبب في ذلك
سبب عجيب وامر مطرب بديع غريب وذلك ان هذا شرف الدين
كان معلم بنها العسل يزرع القصب ويعمل سواه يعصره ويخرج
منه العسل من عسل جمع وسكر وقطر وكان ملزوما بما يطلب
منه من السكر لمولانا السلطان والوزرا والامرا والدولة الحرمين
المكي والمدني والقدس وغير ذلك والبلد مربوط عليه ما لها يعطيه
كل حين للوزير نجم الدين (قال الراوي) وقد قال شرف الدين فلما
كان ايها الامير في يوم من بعض الايام ركبت فرسي وسرت بالسكر
لطالب ارض مصر فمررت وقت الغروب على جماعة من العرب فرايت
رجل سراق ماسك ولد عربان وهو يضربه بضرب شديد ما عليه
من مزيد والولد يستغيث فلا يغاث فتقدمت اليه وقلت له يا شيخ
اتق الله تعالى واخشى عذابه فكيف تضرب هذا الغلام وتذيقه
ذلك الآلام اما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
فقال لي الغلام يا عم انا في عرضك فلما سمعت ذلك منه نزلت
من على ظهر فرسي وتقدمت الى الرجل وقلت له اخبرني عن
ذنبه وما فعل فقال لي اعلم اني رجل حراث عند شيخ البلد ولي
عليه كل يوم ثلاثين بتاوه وشرطتين جبنه وثلاث ازار عسل
انا كلهم انا وهذا الولد وهذا اشغلنا في كل يوم وهذا اليوم كانوا
ماجنين فارسلت هذا الولد باتي بالفطور حسب العاده فغاب

وجاء وما معه شئ فقلت له اين الغلام فقال لى لم يأت معى فقلت له
وكيف ذلك فقال رأيت الاولاد يلعبون فتقدمت عليهم وجاذبتهم
فاخذوا ما كان معى واتيت بغير فايدة فلما سمعت منه ذلك ايقنت
بالهلاك وسوء الارتباك من شدة الجوع ومن شدة ما انا فيه فمضيت
الى هذا الغيط واتيت بارجبين عود من الرمان والرقوق وغيره
وربطت هذا الغلام كما ترى وكل ما اشتد على الجوع اقوم اليه
واضربه حتى اكسر عليه خمسة عيدان وقد ضربته خمس مائة
بخمسة وعشرين عود وقد اتيت انت وسالتنى عن ذلك فاخبرتك
فصرت الآن الى حال سبيلك فقلت له يا شيخ اكرمه لاجلى
لانه وقع فى عرضى فقال لى لا بد من هلاكه فقلت له يا شيخ من
انت وما يكون هذا الولد منك فقال لى هذا ولدى وانا ابوه
واسمى دياب واسمه سرحان فقلت له يا شيخ دياب هل تريد
ان تعطينى هذا الغلام وانا اربيه لوجه الله تعالى وتاخذ منى
هذا الكيس ففيه الفين شريفى ذهب فلما سمع الرجل ذلك طاش
عقله وغاب لبه وقال بعته اليك فناولته الكيس بما فيه
واخذت الغلام لاربيه ثم ارسلته على مجل الى بنها العسل
والغلام يدور الى ورا وانا اقول له يا سرحان فلما ابعدت عن
المدينة بمقدار ما يسمع الصوت قلت له يا سرحان فاجابنى
بصوت عال فقلت له اقرا ما تحفظه من القرآن وبقى يقرا كلام الملك الديان وانا والله وجيه عليه فلما تعلم
القرآن عينت له رجل آخر يعلمه حساب الديوان فكتب وحسب
فلما ان رايته ماهر فى الامور شاطر فى التدبير والسطور
قلت له يا ولدى انا الآن بقيت رجل كبير واريد ان اقتصر
على العبادة لله تعالى الملك الغفور فتولى انت الامر بنفسك
وانا آكل واشرب من تحت يدك ثم سلمت اليه الارض والديار
والمطبخ وسائر الاحوال وبقيت انا اصلى فرضى واعبد ربى
فلما ان كان فى ذلك العام ارسل الينا الوزير من طرف من يستلم
العسكر وكان هذا كما يقال له صالح انفاروحه كاتب يقال له عزيز

تاليا وصاح الى هناك تلقاهم سرحان بن دياب واكرمهم وادخلهم
الرحاب وقد نصبوا لهم محلا برسمهم واجتمع عليهم سرحان واحسن
صحبتهم وصاروا يشربون الخمور والكاسات عليهم تدور وصاروا
ياتون بالنساء الخوانج يرقصون بين ايديهم ويفعلون معهن
المحرمات ويعصون رب البريات فبينما انا جالس في بعض الايام
في المسجد واذا انا باربعة من الناس الفقراء داخلين الي وقد سلموا
علي وقالوا لي يا شرف الدين انك رجل من اعيان الرجال ولك
اعتقال زايد وحبا في الملك المتعال وكيف تترك ولدك يفعل
هذه الفعال وانر والله بعد قراءة القرآن تتبع الهوى والشيطان
وصار يشرب الخمر ويفعل المحرمات وهم الآن في دارك وانت
مالك علم بذلك وانهم مقيمين بدار السكر التي توضع فيها
السكر من السنه الى السنه وقد جعلوها للفساد والزنا
فلما سمعت كلامهم نهضت من وقتي وساعتي الى عندهم فوجدت
الثلاثة بدار السكر مقيمين والنسا يرقصون ويغنون وقد اقبلت
منهن واحدة وجلست على حجر سرحان وهو يقبلها في الخدود
عيان فلما نظرت الى ذلك الحال اقبلت اليه وقلت له يا ويلك
كيف انك تقرا القرآن وتدري الحلال من الحرام وتشرب الخمر
وتفسد في النسوان ثم ضربته كفا على وجهه ونزلت من الدار
وانا غايب الافكار ياساده ثم ان المعلم شرف الدين لما ضربه ذلك
الكف صعب عليه وكبر لديه وكذلك اصحابه الذين كانوا حواليه
فدبروا رايهم وبشوا امرهم وصبروا الى الليل وقتلوا من الناس
عشرة انفار والقوهم عندي في الدار وانا والله العظيم ما اعلم
بشئ من هذه الاخبار ولما اصبح الله بالصباح نزلت من داري
اريد صلاة الافتتاح فوجدت هؤلاء القتلا اشباح بغير
ارواح فقلت لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله ما لهؤلاء
الاد فنهم ولا اظهر امرهم خوفا ان يتهموني بهم ثم اني جعلت
احفر الارض واردت ان اواريهم التراب واذا بشيخ البلد

والاعوان والمملوك والكاتب وولدى سرحان قد كبسوا علىّ وقالوا
لى ماهذه الفعال ومن قتل هؤلاء الرجال فقلت لهم يا ناس انا
الذى قتلتهم وبيدى اهلكتهم فاشهدوا على وكتفونى والى الوزير
نجم الدين ارسلونى فاتيت الى عنده ورأيت البلد فقلت له عهد تلك
فقلت تغير الدول على قسمين اما رحمة واما نقمة فلما ان رأيتنى
امرت بحبسى واعتمدت على قتلهم واتانى عثمان وقال ماقال وهذه
قصتى (قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس ذلك المقال تعجب
من الاحوال وقال يا ابو يا اعلم انى اريد ان احقق تلك القضية بمرفتى
وانت لا يخذلك وهم ولا ضير ولا يصعب عليك من فعل فكن مطمئن
القلب والخاطر الى ان يفعل الله ما يشاء وهو الملك القادر فقال
له ايها الامير افعل ما بدا لك فانا لا اخالف مقالك فشكره الامير
على مقاله وقال يا عثمان رد المعلم شرف الدين الى السجن كما كان
فاخذه عثمان وجعله عنده وجعل يكرمه ويوده (قال الراوى)
فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الامير بيبرس فانه ركب
ذلك النهار وصار قاصد البحار لاجل النزهه والاحتضار ولله
المشيئة والاقتدار ولم يزل سايرا الى ان وصل الى السمينيه
وتامل فى سوقها من كل ناحيه واذا به يرى افراد كبار مقاتلين
سكر زايد الغبار ورأى الرجال الملاح الذين يفصلون الفرد بتبيه
قليله ياخذون الفرد الواحد بستين فضه عند ذلك فلما عاين الامير
ذلك قال ما هذا التراب يا راجل فقالوا له هذا سكر محروق وما هو
تراب ايها الامير المهاب وهؤلاء ياخذوه ويكرروه ويعملوه حلاوه
ويصطنعوه فقال لهم ومن اين مكان ياتى هذا فقالوا له من بنها
العسل فلما سمع الامير ذلك تركهم ورجع الى المنزل والى المقصد
وصل واليه نزل وصاح يا عثمان على بالمعلم شرف الدين فاتى به
اليه فلما حضر عنده سلم عليه فاكرمه الامير واحسن اليه وقال
له يا ابو يا وحدت كذا وكذا فقال له اى والله لقد سالتنى عن امر
عجيب اعلم يا ولدى ان المتعهد بالعسل يجمع القصب ويوضعه

على النار فيا كمل ويحضر صاحب المهدة ان كان مشلث او مثل الوزير
نجم الدين ويوقد النار حتى يدخل العسل بيت السوى والمتعهد ينظر
ويروى فعند ذلك يامر المتعهد ان يضع عود الحضر فيعمى المكان من
شدة الدخان فيخرج الامير من شدة الدخان ويفرز العسل من
القاذان فيقع على الارض ويختلط بالتراب وما يتبقى في الحال شئ
الا القليل فيا خذه ويضرب حسابه والكاتب يقيده على حسب ذلك
الحساب فاذا جاء العام الثاني يحاسبه الامير على موجب الحساب
الاصلي وما يعمل ذلك العمل الا اذا حضر عنده الملتزم فقال
الامير يعيش اه رايت وما احد اخبرني ثم قال يا عثمان خذ شرف
الدين الى عندك فانا قد فهمت ذلك المقصد فاخذه الاسطا
عثمان واعاده كما كان ثم قال الامير يا عثمان انظر لي مركب صغير
حتى اسير الى بنها العسل وانظر بنفسي ذلك العمل فقال له عثمان
سمعا وطاعة ثم سار عثمان من تلك الساعة واخذ عثمان نزهته
وسار الى بحر بولاق وتامل فراى الريس فرحات جالس على مقدم
الذهبية التي بخصوص السلطان وبين يديه الرجال والغلمان
فقال عثمان والله ما يصلح للسفر الا ان كان هذا المركب الصغير
ثم اقبل عثمان بالمزه الى يمين اكتاف الريس فرحات وضربه بين اكتافه
فقال الريس آخ قال عثمان الفاتحه فقال له هذه فضا يلها الفاتحه
من خلف او من قدام فقال عثمان كلها طرق سالكات فقال الريس
ما تريد فقال له قصدي اسافر في هذه المركب الى بنها العسل فقال
له يا اسطا هذه ذهبية السلطان قال عثمان ابو جوطه قال نعم
فقال عثمان واضرط انت واياه سوى فقال له يا اسطا ان كان
مرادك تسافر في هذه الذهبية فانا لي عليك شرط وهو ان تاتيني
باذن من صاحبها الملك الصالح او من الوزير الاغا شاهين وبعد
ذلك انا خادمك وكل من معي لك خادمين واما اذا كان لم ياتيني
اذن من احدهما فلا اقدر اسافر بها ولو ذبحتني على مقدمها فقال
عثمان انت مراد لك تعمل على الحيله وتهرب ولكن سرها في بحاميها

ان ضربت بيدك الى شيء من متاعك على مقدمها ولا ابالي بالمعلم
صالح ابو جبوطه ولا بابو فرحه هيا اصلح شانها وركبه فلم يزالوا
وهيأ جهازها حتى اصبح والتيك ياذنها ثم ان عثمان تركهما
قاصد بيت الوزير وطلع اليه وقال صباح الخير يا بوشرها انت
واصحابك فقال الوزير اهلا وسهلا بالاسطا عثمان ابو الصباق
والجذعان فقال له الحلة وكيد السفر الى بنها القسل وقد
ارسلني اليك لاجل شيء على باله قد ورد وهو جطمة وريحه
صغيره من عندك الى الريس فرحات انه يودي في مركب ابو
جبوطه الى بنها القسل فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم كتب له
تذكره وختمها بخته واخذها عثمان ووقف برهه زمانيه فقال
له الوزير ما تريد قال له الجندي ما عنده احد ايونسه ومراده
مملوك او اثنين يونسوه فقال له يا عثمان انا ارسل له ماشة
مملوك بملابسهم وسلاحهم وخيلهم لاجل خدمة الامير وهم
من عندي اليه واذا وصلوا المماليك الى البحر يسيرون السياس
بالخيول في البر فقال عثمان ترسلهم بغير احنكه حتى لا ياكلون
ولا يشربون فقال الوزير وقد تبسم ارسل لكم كرار مسمتوفي
من كل ما تحتاجون اليه من فراشين وطباخين وارسل لكم
الاغنام والسكر والعسل ولا تحتاجون لشيء فقال له عثمان
ان شاء الله تعالى ياتيك من عند الجندي اكثر من ذلك باسماده
وقدام الوزير جميع الاشيا من لحم وسمن وحبوب وارسل المماليك
والخيول وسار بعد ذلك عثمان وانزل كل ذلك في الذهبيه وقال
للريس اسبقني انت بالمركب ومن فيها واقف عند شبره ثم
ناوله التذكره فاخذها وباسها وعلى راسه وضعها وسار
كما امره عثمان (قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما
ما كان من عثمان فانه سار الى بيت نجم الدين البندقداري
وقابل الامير فقال له لقيت لنا مركب قال عثمان رايت مركب
صغيره تسع ثلاثه انفار وانا اجعد عند الدفه مع الريس

لانها

لا ما صنعت به بيبرس فقام بيبرس وركب جواده وسار طالب بولاق
وعثمان قال الشيخ سنة فصل الليالي وجواد الجندار وسير بعضهم
على اثره بالخلعة فقال وصلوا الى عندنا خذوا اشرف الدين
وسيروه وقالوا نحن نريد صاحبكم فسار بهم الى ان وصلوا الى
بولاق وقال الامير ابن المركب يا عثمان قال له كانت هنا وراحت
كان صاحبها معك يا اشقر فقال بيبرس اكرى لنا غيرها قارب صغير
فقال عثمان اصبر حتى انظرها (قال الراوي) ثم سار عثمان والامير
بيبرس على ساقية البيرم الى المراسا سرين حتى اشرفوا على شيبه
فقال عثمان ما هذه المركب المزينة التي فيها بياتيج خشبه وبها
جلوع من الحرير ما كانها الا مركبة كتخدا الامير فلما
قدظهر فقال له الامير هذه مركبة السلطان الملك الاكبر
ولد الله المجذوب الملك الصالح نجم الدين ايوب فقال عثمان
ابو جوطه قال ثم فقال عثمان كان ياخذ تابع من هذه الصالحية
يا سيده على بذرا احسن من هذه السفتة الذي كانوا لخدوش الخشن
يا الاكاذيب جميع رايهم من هذه الرايات اوشحوا من تلك الوشاح ويا كلوا
بثمنها كم ضاق وفاضل يا فى ولا يقعد محزوم فقال له الامير يا عثمان
لا تتكلم فى حق اولياء الله تعالى بكلام الفقصان فان ذلك عار وهوان
فقال له عثمان يا اشقر وراءك اتفرج على هذه الدهبيه فقال له
الامير هذا امر هين ثم نزل الامير من على جواده ونزل مع عثمان
ومعهم المعلم شرف الدين وعبروا الى تلك الدهبيه فاذا هى عشرة
كما كانت تمشى للسلطان وعلى مقدمها مشاعل دايرة ورحما
وحبال الصيارات مرسومة بالقناديل وفى المقعد جفده مملوة ملانة
بالقناديل وفى جوانب المقعد اربع شمعدانات فيهم الشمع الكافور
يا سيده وبالان طلع الامير بيبرس نهض له الريس خجانة وحمل
امكه وكذلك المالك شيلوا يده ووضعوا يده يريا صغيرين فنظر
الامير بيبرس وانتم ما شاء الله الا يجل الانعام والمالك
توضع يده فى عبه واخرج كيسا من الذهب واراد ان يناوله

الى الريس فرحات فاستنع الريس من ذلك وقال له الصفح يا دولتلى
هذه قلة ادب فى حق ملكنا فنحن خدام بما هيات واكرام فكيف
امد يدى الى احد غيره من الانام فضحك الامير بيبرس واخذه
الابتسام وتعجل من سماع ذلك الكلام ثم اراد ان يعطى المال
الى تلك المماليك فنظر اليهم عثمان بالاشاره ولسان حاله يقول
كل من مديده منكم واخذ درهم واحد اكون لغيره فاقد وانبسطه
برزق هذه اسقيه كاس فنائه ففهمت المماليك الاشارات وصاحوا
الامان يا دولتلى ها نحن مماليك واتباعك ومالنا سيد غيرك لان
الاسطا عثمان قال للوزير نا خذهم على سبيل الوديعه وبعد وصولنا
نردهم اليك فقال له الوزير لا والله الا انى قد اوهبتهم لسيدك
وهبة كريم لا يرد فى عطاه وهذا كلام الوزير ونحن باذاننا قد
سمعناه وعلمنا انك سيدنا ومالك رقابنا (قال الراوى) فلما سمع
الامير بيبرس ذلك المقال حار واخذه الانبهار وقال ما الذى
الجا ابوبا الوزير الى ارسال هؤلاء المماليك الى هنا وما الموجب
الى تجهيز الدهيمه والريس فرحات بهذه الزينه والآلات والمهرجان
وهذه الخيرات الحسان وكان يسال فى ذلك المماليك والغلمان
فقالوا له نحن لم نعلم بذلك الشان ولو اردت البيان عن ذلك
والبرهان فاسال الاسطا عثمان قال فالتفت الى عثمان وقال
له ما سبب تلك المركب والغلمان فقال عثمان انا مضيت الى
ابو فرحه ووقفت فى عرضه وقلت له اصنع معنا معروف
وامر الريس فرحات ان يوصلنا الى بهنا العسل فى الدهيمه
واعطينا كام مملوك يخدموننا ويروحوا معنا يونسونا فاعطانى
هاربعين مملوك فقلت له هؤلاء كثير خلف انهم لم يرجعوا اليه
ابدا ثم سلم اليهم خيولهم وسلاحهم وامر بالكرار والمطبخ
وكل ما يحتاج الامر اليه وكل ذلك على طرفه وهذا ماجرا وانا
عالى دعوه لانى قلت له هذا لا يصح فلف بالطلاج فقال
له الامير يا قليل الادب الوزير يحلف بالطلاق فقال عثمان

اى وحياتك فقال له لا اعز الله لك حياه ثم انه سال المماليك عن
الحقيقه فاعلموه بالقصه والدقيقه فقال الامير لاحول ولا قوة الا
بالله العلى العظيم لاى شئ ياعثمان تفعل هذه الفعال فقال له قد
سمعت بعض الناس يخبرونى بانك الصاهر وانت الآن ماظهرت
فاردت بفعالى هذا اظهارك فيما تظهر بالمره وما تخفيه بالمره وان
كنت لم تسمع مقالى فارجع انت الى مكانك وانا اجيب عقيب بجعله
بدالك فقال المعلم سرحان يادولتلى ما بقى ينفع الا الظهور والبيان
والله تعالى يعلى قدرك ويرفع ذكرك ثم انهم سارو بالذهبيه وهى
كانها العروسه الجليه وقد تقدم الريس فرحات بنفسه ومسك
الدفه بلا مهل ولم ياخذه وجل ولا فشل ومازال يحسن فى السير
باحسن عمل الى ان وصلوا الى بنها العسل (قال الراوى) فتقدم
عثمان اليه وقال له يا اشقر كن مكانك حتى افعل ما اريد واخذ
عشرين مملوك واخذ الثمانين سايس ما يفته وكانوا قد وصلوا
بالخيول فى البر ودخل بالجميع الى دار الملتزم وكنسوها وبالفرشات
المثمنة فرشوها بانواع الفراشات الغاليات المثمنات ووضع عثمان
للامير سرحان مصطبه بالذهب المبندق وهو مرصع بالقطع الجوهر
وعلق النجف والشمعدانات فى سائر ذلك المكان حتى صار كانه جنة
من الجنان هذا وقد وقفت المماليك بتلك الوجوه الحسان وعليهم
الملابس الوان وبعد ذلك عاد الاسطا الى سيده وامره بالطلوع
فطلع وتقدمت الخيول فركب وركبت المماليك وكان عثمان قد غير
زيته ومشى بجانب ركابه الى ان دخل الى دار الالتزام قال ولما ان
عبر الامير اليها وتحقق معانيها فرح واتسع صدره وانشرح وقال
ياعثمان اصغى الى صاحبك ولا يرد احد من اهلك ولا من اقاربك
واجعله فى مكان بمعرفتك واغلق الابواب خوفا من الرقبا والاعدا
قال ففهم الاسطا مقالته وخرج من وقته وساعته وسار الى
الذهبيه واخرج المعلم شرف الدين وقد البسه ملابس الصياس
حتى لا يعرفه احد من الناس واحتاطت به جميع الجلاس وساروا

بعد الى ان وصلوا الى ذلك المكان وكان اهل البلد لم يطيقوا ان شرف الدين يأتي على قيد الحياة بل ظنوا انه مات وشرب كاس المنون فلما رأى المعلم شرف الدين قد آمن على نفسه بكل امان ودخل مسجد الوسطاعتان فاجلسه في احد مكان واغلقه عليه وترك عنده من يحفظه ويخدمه بين يديه (قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من المعلم سرحان فانه كان جالس مشتغل بما هو فيه من خمره وفساده ومنهماك مع اصحابه واهل وداده فدخلت اليه الاخبار وقالوا له اما علمت ان في ذلك اليوم اقبل الملتزم الجديد وله خدم وغلمان ورياش وعمائل وعبيد فقال سرحان دعونا الآن من ذلك الشان وما هو الا مثل الملتزمين السابقة الذي جاءت الى هذا المكان ومن اين للملتزم ان يعلم صنعتي او من يطلعه على سريرتي وان جميع الملتزمين ما يأكلوا الا فضلتي وانا الآن ريس نفسي وما بقي لي صاحب من ابناء جنسي مادام هلك شرف الدين فما ابالي من ملتزمين فقالوا له ولكن على كل حال تقابله وتزوره هدى من ضلال فاجابهم الى هذا المقال ثم نهض على الاقدام والكبر يظهر منه بجميع الانام وسار الى ذلك الى ان اقبل الى الامير بيبرس فلما ان رآه الامير نهض له وتلقاه وسلم عليه وحياه وقال له بكرة وعشيا اهلا وسهلا بالمعلم الكبير الذي نستشيره في كامل الاحوال والتدبير ومن هو بكل الامور خبير ثم انه اجلسه بجانبه وفي الحال حضرت المشربات فشربوا ولذوا وطربوا ولما ان استقر بالمعلم سرحان المجلوس اقبل عليه الامير وقال له اعلم يا سيدي انني التزمت بهذا المسبل واريد منك الاعانة لي والهمة بغير كسل فقال له سرحان مرحبا بك فلك ما يسر خاطرك وكان الامير قد علم وعاين منه الاشكال فطلب غيابه لان الآخر كان مكار وما للجبار الا المكار كما قيل في معنى ذلك هذين البيتين

وان صاحب المكر الذي مثله * ترى حزم في بعض من كانه
فسابر فما عار مستوطنا السما * ولما افترقنا عشنا بلسانه

قال

(قال الراوى) وقد نظر المعلم سرحان من الامير بيبرس لين الكلام
ورأى عليه الاقبال والاكرام فظن انه اعتبره وخافه منه دون الانام
فترك مكانه وخرج الى حاله ونفسه وكان خروجه من غير استئذان
وقد ضاق صدره كبرة وزاد في تجبره وبطشه مع رفقته على نفسه وشدته
مع بعض رفقته ولا سيما على الملتزم ولا عن دولته لانه قال في نفسه
انه هو الذي يحول كامل الامور بحسن فطنته وحسن سياسته وما احد يتقدم
عليه ولا يدرك ما في سريرته هذا والامير قد عاين ذلك منه فاسرها
له في سريرته قال وكان ذلك في اوائل زراعة القصب وقد تمت
الزراعة ما بين سلف وخلف فالخلف هو المزروع من العام الماضي
والسلف هو الفسل الجديد الذي في الارض تغرس وكان المزروع
في ذلك العام الف وما يتين فدان وعليها ما يتين ساقية كل
واحدة باربع وجوه يدورون ليلا ونهارا وهناك ما يتين عصاره
فاذا طاب القصب وفرغت البهائم من سقيته ينقلونها الى العصارات
هكذا كان ترتيب القصب بتلك الحالات (قال الراوى) ولما ان تهيأ
الفراغ من ذلك الشان اقبل الامير الى المعلم سرحان وقد مضى
عليه ثلثة اشهر ونحو عهد ما قابله اول مره ولم يسأل عنه الا في
ذلك اليوم وقد قال له يا جندى فدا اول كسر القصب لاجل دخوله
العصارات فقال له فدا حضر لنا الكساريين وافعل بمعرفتك ما تراه
من اليقين قال وبعد انصراف المعلم سرحان صبر الامير الى ان نام
كل انسان وقال يا عثمان على بالمعلم شرف الدين فقال عثمان سمعا
وطاعة ثم دخل عثمان الى شرف الدين وقال له واولداه عليك يا
مسكين انا كنت اظن انك رجل من الناس الطيبين فظهر الحق
واليقين ان المعلم سرحان من الرجال الصالحين واما انت فمن
الناس الخاسرين وقد امر الدولتلي بصلبك على باب بلدك فقال
له شرف الدين يا عثمان دعني من كلامك فاني ما اصدقك في
قولك ابدا وقد ظهر لي منك ذلك اولا فقال له قم كلم الاشقى
فنهض المعلم شرف الدين وسار الى الامير فلما رآه نهض له واكرمه

واخبره شرف الدين بما ذكره له عثمان من مقاله فقال له الا تعلم
لا تعتمد قرني مقال ولا تفتكر في حال من الاحوال وكن مطمئن البال
وما ارسلت اليك الا حتى اساقيك واشير عليك ثم اعاد عليه انك
غدا تكسب القصب فقال له يا ولدي لقد سالتني عن امر عجيب غدا
يركب سرحان ويأتي الى الغيط الفطير الذي تكون فاقصد في السوس
ويأمر الرجال بالقطع منها وعصرها فلا يخرج منها الا شيء قليل
وعلى ما تخلص القطع يكون باقي الغيطان تلفته السوس فلا يخرج
منه الا شيء لا من ولا ولا من هذا وان القيام القابل يجاسبك على
مقتضى تلك السنة فقال له وكيف يكون العمل فقال له غدا تركب
انت بغلمانك وتنظر القصب بعينك فاذا امر بالقطع منه فامنعه
من ذلك وامرهم يقطعوا من المستوى واذا خلص يكون الآخر قد
بلغ وشده في السوس فيخرج الموجود في احسن ما يكون فقال عثمان
هذه قد عرفتها فقال المعلم شرف الدين ها انا اعلمتكم فاحرصوا
لا نفسكم فان هذا سرحان ما يطلب بذلك الا مكسبة نفسه
وخسارتكم فقال له الامير جزاك الله كل خير فامضي يا ابو يا الى
مكانك الذي كنت فيه حتى ارى هذا الامر وارأعيه باساده وقام
الامير ونام الى الصباح وصلى الامير صلاة الافتتاح واقبل
سرحان بالكسارين ووقف على الامير وقال له انهض سق وسيس
حتى نكشف الغيطان ونقدر الكسر ونتظر هذا الامر فقال لهم
وطاعوا ثم ركب وركب سرحان وطافوا على الغيطان وجاءوا اولها
وانتهوا الى آخرها وقال يا رجال اكسروا من هذا المكان فقال الامير
اصبر يا سرحان حتى ارى ذلك القصب بالاعيان ثم تحول من فوق
الحصان ومسك عودا وكسره وقال له يا اخي ان هذا ما طاب ولا
استوى وان الذي قبالة قد اخذ حظه في السوس فدع الرجال
تكسر من ذلك الناحية حتى اذا هي انتهت تكون هذه الاخرى
قد طابت واستوت وفي حد الهلاوات بلغت فقال له وانت جندي
ومن الذي اعلمك بذلك الشان فقال له يا اخي كل انسان

له عقل وتصور ان كان والله ما الذي يعود عليك من خسارتي وانا
طلقتها وان خسرت شيئا فانما امر الى اعيدها وان الذي اقتضاه
عقلك ان لا يكسر القصبة الطايبة بكرة الاخر قد اسمعتني فيخرج
المجرد في غاية الكمد ومع كل ذلك انك مخطئ في هذا الظن فان
كان عندك رايا اصوب من ذلك فارشدني به وقد لجوا الطبيب
الملبجه والامر الصحيحه فانني اذا كسبت انا في ذلك العام تكون
لك عندي اليد البيضا والاكرام فقال له ياجندي الصواب ما ذكرته
والراي ما اشرت ثم ان سرحان صاح على الرجال والغلمان وقال لهم اكسروا
فامهذه السنه على الاوحل وقطران فتقدم الرجال وكسروا القصب في
الحال هذا وعثمان قد جمع السياس والمماليك وجعل كل عشرين سايس مقدم
عشرين مملوك وفرق الجميع حول الفيطان والعصارات والمطابخ والطرقات
لحفظ الواعين اذا كانت ممتلات (قال الراوي) ولم يزالوا كذلك حتى انقطع
القصب من اوله الى آخره بعد ان بلغ رسده في السعري ياساده ولم
ينصرف بيبرس ولا سرحان من الفيطان حتى فرغت من الكسر
الرجال والغلمان وسرحان يحض على تدبيرهما وتلبيغا وزاد به
نارا وتاسفا وقد قال للامير ياجندكدار غدا نشيل القصبه الى
العصارات فقال له الامير ان شاء الله تعالى عالم الخفيات وانصرف
بعد ذلك سرحان الى حال سبيله وكذلك الامير انصرف هو
وعثمان بعد ان تركوا النفر في كل جانبه ومكان ياساده ولما ان
وصل الامير بيبرس الى منزله واقبل الليل وارخا سدوله امر
باحضار المعلم شرف الدين فلما حضر اليه ترحب به واجلسه
وقال له يا ابو ياغدا نشيل القصب فقال له والله لقد سالتني
عن امر عجيب وذلك ان اهل هذه البلد لهم غدا عاده لهما لين
وذلك انهم يصنعون لهم الفطير العظيم وصفه الخبز الحامي
والجبن الحالوم والبيض المسلوق فياكلون منهم ويطعمون بذله
من احمال القصب فيخرج منه اكثر من نصفه ولا يفعلون ذلك
الا اذا نزل الملتزم الجديد ويصير بعد ذلك الحساب على هذا المنوال

فقال عثمان هذه علي انا ثم سقى للغلام شربة الدين الى مثال سرحان
في موضعه ونام الامير الى الصباح فلما ان طلع النهار ركب الامير
هو وعثمان وحضر ايضا سرحان وتحملت الجمال وسار مقدم
الجمالة قدام وعثمان هو والسياس من بعيد يلاحظون الاحمال
ويفتقدون الجمالة والجمال قال فبينما القوم سايرين واذا ببنت
قد اقبلت اليه وصبحت عليه وقالت له يا عم الحاج سليمان امي
تسلم عليك وتقول لك كل سنه وانت طيب وكل قصب وانت
بخير وقد ارسلت لك صوى خمس فطاير وخمس خرطمات جبن وعشرة
ارغفه حامه فقال لها صافي يا بنيه فنا ولتم له في صره فعند
ذلك برك الجمل القيده ونزل من على ظهره لبش قصب كبير
وقال للبنت خذي هذه وسلمي لي على امك كثير ثم ان الجمالة
تورا الجمل واراد ان يسير واذا بالزرزه عمرت بين اكتافه فقال
الجمال اخ فقال عثمان ايش هذا الذي رميته وتركته فقال
له يا اسطا ان الجمل قد انفك مني وقد اردت ان اصلحه فقال
له عثمان صلح وانجر يا جدع واحترص لنفسك من مرة اخرى
فوسرها في حالها ان فرطت في عجلة جمل واحده لا تمسي
روحك الا خامده فقال له حاضر يا اسطا ثم ان الجمال رد
للبنت الفطير وكاد عقله ان يطير وقال لها خذي فطيرك
وسلمي لي على امك وقولي لها هذه سنه ما ورد مثلها هذا وقد
عاينت الجمالة ما جرا من شان ذلك فما منهم الا من خاف على
نفسه من المهالك وعلموا ان عثمان في الحيله خلفهم كانه
الاسد الفاتك هذا وقد سار والجمالة وكلها انت بنت او غلام
يشتموه الجمالة ولا يقبلوا منه شيء ابدا خوفا من شر ابي الردا
حتى انتهى مثال القصب وهو على غايه من الحفظ هذا وسرحان
قد ذابت منه الابدان وزاغت الاعيان ولكنه لم يقدر يتاخر
عن تلك الاشغال لانها مطلوبه منه على كل حال فتقدم الى الامير
وقال له غدا يكون التقشير فقال له ان شاء الله تعالى الملك

القدير

القصير فان كان صحيحا سار الى منزله وبلا هو والليل وارخا على
الكفا فتقين ذيله امر الامير باحضار المعلم شرف الدين فلما حضر بين
يدي الامير وسلم عليه وقبل الارض قال له الامير اصعد بالكرسي قال
له يا اميرنا قد انتشر القصب فقال له غير هذا امر اعجب
اعلم يا سيدي ان الرجال الشغالة قسمها على الديوان
كل واحد ثلاثة دينار فان جاسبه عليهم سرحان ولكنه لم يعطها
للصبيان بل ياخذ والاجرة من ذلك القصب ويرجع سرحان يجاسبه
عليها وياخذها فقال بيرس وكيف ذلك فقال له اذا كان آخر
النهار يجد الراجل يشيل له شيله على قدر طاقته ويلفها في
قشها واذا سأله انسان عن ذلك يقول له هذه اجرة واريد
ان احمي بها الفرن فقال عثمان وهذه الاخرى علي انا اتم القصب
بانوا على ذلك الاصباح الى ان اصبح الله فقال بالصباح واضاء
الكريم بنوره ولاح ركب الامير وحضر سرحان وراه الرجال
والفلاحون وداروا الشغل الى آخر النهار وكنا قدمنا ان عثمان موضب
ثلاثة ليلك والعباس في المطابخ والعامر وعثمان يمشي عليهم من
وقت الى آخر فهم هذا وقد اشتغلت الرجال الى آخر النهار واذا
برجل خارج وعلى راسه حمله كبيره فقال له عثمان ابيش هذا يا شيخ
فقال له هذا قشر قصب لاجل الفرن فقال له وقبل هذا كنت
تحمي الفرن بايش فقال له بالتبن والحطب فقال له عثمان
خليك على ما كنت عليه واحمي بالتبن والحطب ولا تسرق
القصب لانه ما يجيك منه الا الحطب ثم ان عثمان جذب الحبل الذي
شيد ثلاثة الحزمة بقوه وهيه فانفرط القصب فقال عثمان هذه
حلفه وقشر والاقصب طيب وحر فقال له يا سيدي هذا قشر
نظيف اجرتي فقال له عثمان رده الى مكانه واذا كان ثلاثة اجره
اطلبها واثلاثة اخلصها فقال له الرجل حبا وكرامة ورد القصب
الى مكانه هذا وقد راوا باقي الشغالة ذلك فتركوا جميع ما معهم
وقد قال بعضهم لبعض ما يكون العمل في ذلك وقت اذا يطلعنا

يرسل خلفنا سرجان ويحضرنا وان اشتغلنا فما احد يعطينا اجرتنا
فقالوا الرؤسا منهم نحن نمضي الى الملتزم الجديد ونخبره بامرنا
فهو يرجعنا في اجرتنا والا يبرح لنا ناخذ بدلها من القصب كما
جرت عادتنا فقال هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم
اتفق رايهم على ذلك الاسباب فسار واحتى دخلوا الى الامير
واطلعوا على امرهم وشكوا اليه حالهم (قال الراوي) فلما
سمع الامير بيبرس ذلك تعجب وامر باحضار الدفتر والكشف
عن الاعوام الذي مضت فراى ثلثمائة رجل شغاله في كل يوم
ولهم يوم اجرة مائة درهم فضة من ابتدا اشهر مسري القبطي
لغاية شهر برمهات مايتان واربعين يوم في كل يوم مائة فضة
باربعة وعشرين الف درهم مضروبة بينه سرجان وهي مقررة
له من الديوان فلما راى ذلك الامير بيبرس من سال الرجال وقال
لهم هل سمعوها في العام الماضي فقالوا له ولا رايناها في العام
الذي قبله وما كنا ناخذ الا القصب فقال الامير انا ما يخصني
الا بعضي وانا اخلص لكم من سرجان فقط ثم صاح الامير على
عتمان وقال له ائتني بسرجان فقال له سمعا وطاعة ثم مضى
عتمان اليه فراه منهمكا في امره فقال له عتمان اجب الامير
يا سرجان فقال له وما عنده معلوم اذا كان يرسله الي حتى
يرسل لي احد المساس فقال عتمان ما يضر شي وانت غلط في هذه
المره فلا تؤاخذه واذا كانت مره اخرى واراد انه يرسلني فانا امنعه
من ذلك واقول له ما انا من مقام الملتزم حتى ترسلني اليه بل
ارسل اليه بعض الماليك فقال له سرجان اصغى انت وانا
اسير على اثرك فقال له عتمان وسيرها في مجامها ان لم تقم وانت
في اقل من اذيالك لاضربك بهذه الدبوس ضربة اسكنك بها
الطريم ثم رفع عتمان الدبوس فلما راى سرجان منه عتمان وساوقدامه
وهو ذاهب حتى وصل الى الامير بيبرس فلما حضر ترحب به
الامير واجلسه فلما ان استقر به الجلوس قال له الامير

يا سرحان ان هؤلاء الرجال لهم اجره يوم ام لا فقال نعم
فقال له يلزمك تعطيهم اجرة يوم بيوم عند آخر النهار ويكون
ذلك قداى وانت تبقى تحاسبني عند آخر انتهاء الاشغال
فقال له سمعا وطاعة ثم اصرفه عليهم استحقاقهم ومضى
سرحان الى حال سبيله وكذلك الشغاله الى حال سبيلهم ولكن
سرحان قد زارت به الكرب واشتد به الغضب وكان قد قال
له قبل مسيره من عنده ياجندى غدا عصر القصب فقال
سمعا وطاعة ان شاء الله ما يشاء (قال الراوى) ثم انه بعد مسير
سرحان احضر المعلم شرف الدين وقال له يا ابو يا قد كنت
لى نعم المشير فخبرنى فيما يملك الملك القدير ولكن كيف
يكون التدبير فى امر القصير فقال له اعلم ان جميع ما نعلمه
فيه اصل واحد من ماشة قيراط والزايد فاعلم ان الرجال
يخلصون غدا القصير ولا يكون آخر النهار تنظر الى الرجل
وهو خالص وبين وطيه اوره كبيره فيظن الراى الذى
انها مطلة وانما هى قربه ملانه عسل وكذلك المراه تخرج
وسطها قرن مل كتفها ومعلق بطرفها فيظن الناظر ان
هذا ولدها وهى قدره وسراة اخرى تراها كمسكة
بكيله وما بها حبيبه وانما هى قربه مربوطه على بطنها
والثياب مرخيه عليها فلا يشك احد ان حبلها واذا تعلم
هذه الفعال فاتم الاشغال الا يكون قد ضاع المال
فقال عثمان والاخرى هلى انا ثم عاد المعلم شرف الدين
الى مكانه وبات الامير فى محل امانه الى ان طلع النهار
وثار المصريين واشتغلوا الشغالين وخرجوا الى النهار
فاستقبل عثمان الرجل الاول واذا به اقلط فقال له
عثمان وا ولداه يا عصر ما هذه فقال له يا ولد عمى
هذه حمله كذا لك الله شرها فقال له عثمان يا عصر
وانت المصيح لما دخلته كنت منى عمرها فكيف نزلت

ولا غيرك من يحضر بالحطب سريعاً (قال الراوي) ثم ان الامير
بيبرس اقبل ومعه المعلم شرف الدين وعرفي القيود والاغلال
والباشات الثقال وهم بين اربعة من الرجال وهو على غاية
من الاذلال فلما نظر اليه سرحان قال للامير انت الى الآن ما
قضيت على سيدي الذي ولا ي شيء ابقيته الى الآن فقال
له اعلم يا سرحان ان الحسن لم اقتله وانما ابقيته
الا لاجل ان اعذبه قبل موته وما اتيت به في ذلك النهار
الا ليحمي تحت الكوانين ويوقد النار وهذا الفعله عنده
اكثر من موته بالبتار ثم ان الامير صاح على شرف الدين
وقال له قدم واطلق النار في الكوانين فلا بد ان اريك ما افعل
من البراهين فعند ها تقدم المعلم شرف الدين وجلس يوقد
النار في الكوانين ولم يزل كذلك حتى عرف سرحان ان الحسن
دخل الى بيت المسرى فقام على حيله واقبل الى شرف الدين
ورفسه برجله وقال له يا شيبه ضال اوضع عود حلف تحت
الدسوت وكان هذا سبباً بينهم فانفذ خرمه من الحطب الاخضر
ووضعها وقد ظهر دخانها وملأ المكان وما بقي يقدر يطيقه
انسان فاول من خرج كان الامير بيبرس وقد وضع الخرمة على
عينيه وخرج ايضا عثمان وهو يقول هيضيبه يا كلاب قال وقف
الامير برهة زمانيه خارج الدولاب حتى هدى الدخان والهضاب
وعاد الى داخل المكان وتامل فراى الحسل كله قد فار والى الارض
نزل وما بقي الا شيء قليل في الحلل فلما عاين ذلك قال لسرحان ما هذه
الفعال فقال له يا جندي هذا شغل النار ومن يقدر يقاوي النار
قال فلم يتم كلامه حتى ضرب الامير بيبرس على وجهه كف كاد
يرمي التالف وتقل على وجهه وامر بالحديد فاوثقه وامر بضربه
في وسط الدولاب فضربوه حتى غشي عليه ونظر العذاب ثم بعد
ذلك امر بسجنه في بيت الملتزم فتسلمه عثمان وارماه في سجن
ضيق ظلم هذا وقد امر الامير باطلاق الامير شرف الدين

فاظهر وعظم عليه الامير واعاده الى منصبه كما كان واخذ له امنه
اهل البغي والفساد وان وقال يا عثمان علي بالكاتب والمملوك الذي
لحجر الدين فقال عثمان سمعا وطاعة ثم انه مضى الى الكاتب فراه
وهو جالس يحاسب ويكاتب فقال له عثمان واجب فكتب الكاتب
بجي هذا الى الامير ثم ضربه بالدبوس على راسه فرمى اضراسه
واخذ انفاسه ولم يمهله وسياسه ان يتهيا لجيء استحقه
فعملوا ذلك في عاجل الحال ثم عاد الى الامير واعاد عليه
السؤال وكان قد قبض على المملوك واتى به الى سيده فلما راه الامير
امر بجلده فجلدوه وبعد ذلك امر ان يوصلوه الى سرحان ويسلموه
يقرنوه ففعلوا ذلك في عاجل الحال (قال الراوي) فهذا ما كان من
امر هؤلاء واما ما كان من المعلم شرف الدين فانه اعاد السكر الى
المواعين كما كان واوقد عليه النيران وصفاه من الاوساخ وما
قد اعتراه من الارض والسباخ ولم يزل كذلك حتى صفاه واصطبغ
الجلاب وانزله في القراديس والاقماع واخرج ايضا الجموعات ودارت
الاشغال حتى خرج الكسر العالي وتصفى منه العسل القطر ودار
تكريره الى ان تخلص منه قدر جبة حرول ثم امر بالخازن
وغطا حيطان الخازن بالاخشاب وكذلك الارضيه خوفا من
التراب فملا الخازن بالسكر الابيض وعبا بلد ليص العسل القطر
والجمع وغيره وقد خرج منه عسل كلون العسل النحل مكرر صافي
البياض وما يفرق بينه وبين الابيض الا الشمع الخام قال وكل
ذلك بمعرفة المعلم شرف الدين وقد كانت سنه ما لها من نظير
وما فعل هذا قط احد من الملتزمين ثم لما تهيأ الفراغ من ذلك امر الامير
بالشغاله فحضروا اليه وامر عثمان ان ينادي في بنها العسل كل من كان له
حق على سرحان فليات الى عند الملتزم بيبرس وعثمان قال فهرعت الناس
وكل انسان طلب حقه بمرتب دفتره فعند ذلك امر الامير باحضار سرحان
فذهب اليه عثمان وجعل يكلمه بكلام امر من ضرب السيوف المرقاق
ويقول له اما تقلم يا سرحان اني انا عثمان بن الحبله ابو عيال مصر

وبيتنا في لمراغه والقبر الطويل ولنا عبد اسمه فرج وعلى باب بيتنا قنديل فقم الآن وانظر العذاب الوبيل وان نفدت من يد الاشقر فما تنفد من يدى انا الآخر يا خاين اليهود ولم يزل يكلمه ويسبه ويشتمه حتى اوقفه بين يدين الامير فقال له يا كلب اعطى هؤلاء القوم حقوقهم وانا الذى انظر فى دفاترهم واجرهم ثم امر باحضار الاموال من ديار فاحضر منها ما اعطى منها الامير كل ذى حق حقه وسلم باقى المال للمعلم شرف الدين وقال له خذ هذا المال فانه مال حلال وهو لك وهذا الكلب قد نهبه منك بالضلال والمحال فشكره المعلم شرف الدين على ذلك الفعال (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الامير بيبرس فانه بعد ذلك كله احضر القضاة والعلما واعيان بنها الغسل وسالهم عن شرف الدين فقالوا له والله ما هو الا رجل دين خطين واما هذا سرحان فما هو الا من اهل الضلال والبهتان وكذلك الكاتب الذى عنده من اهل الكفر والطغيان والمملوك وافقهم على ما كانوا عليه وفعلوا فعال اهل البغى والعدوان فعندها قال الامير تشهدوا بذلك عند السلطان فقالوا له وبين يدين الملك الديان فعندها كتب الحجج عليهم بشهادتهم واقرارهم واختامهم وبعد ذلك اصرفهم الى حال سبيلهم وانقضت تلك الاشغال وفاز بيبرس بالنصر على كل حال وعاد شرف الدين الى ما كان عليه وسرحان وصل عاقبة امره عليه وقد قال له الامير عند وصوله اليه والله لا بد لى ان اخذ منك حق الله واجلدك على السكر واجلدك على الزنا والمنكر وبعد ذلك احقق دعوة المقتولين الذين تسببت انت فى قتلهم واجازى الشاهدين الذين شهدوا لك بالباطل وعندى اسماؤهم ثم انه جعل يعاقبه اناء الليل واطراف النهار (قال الراوى) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من عتمان بن الحبله فانه اقبل على الامير وقال له اعلم ان السنة تمت والافراح عمت

ولكن لا تبرح من مكانك هذا ولا تقدم على سفر الا اذا اتاك من عندا بوجبوطه امر او خبر فقال له يا عثمان هذا هو الامر الصواب والراى الذى لا يعاب ولكن يا عثمان مرادى ان اهادى السلطان كما هادانى واكافئه على بعض ما اعطانى فقال عثمان افعل ما بدا لك انجح الله اعمالك فعند ها امر الامير بالف حمل من السكر العال والف حمل من الكسر وارسل الجميع مع عقيب الى مطبخ السلطان وقال له سلمهم الى الكرجى بشرط ان السلطان لا يعلم بذلك الشان ثم ارسل الى الوزير نجم الدين زوج خالته على قدر ما يكفيه فى سنته مع بعض الغلمان وارسل الى بيوت الامرا والعلما هدايا من السكر الكسر والابيض والنبات وبعد تمام هذه القضيات التفت الامير الى الاسطا عثمان وقال له يا عثمان اما سمعت قول الناس اهل المعارف والاتقان حيث قالوا هذه

الاوزان

ارى المعروف عند الحر دينا * وعند البذل مقبحة وذما
كقطر الغيث فى الاصداف درا * وفى فم الافاعى صار سما

وهذا ما انتهى الينا من ديوان الاسطا
عثمان بن الحبله على يد ملتزمه
حضرة المكرم على احمد
سالم النمرسى
١٨٩٩
م

ثمنها ستة قروش صاغ